العلماء والحكام

بين الخيانة والأمانة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

مركز أصول وواقع للأبحاث

Osoolw6@gmail.com

العلماء والحكام

بين الخيانة والأمانة

تأليف

ممدوح إسماعيل

مركز أصول وواقع للأبحاث

إهداء

إلى أبي وأمي رحمهما الله أصحاب الفضل...

إلى زوجتي وأولادي الصابرين معي على نوائب الدهر...

إلى كل أصحاب الفضل علي في مسيرة حياتي، وكل من علمني حرفا بصدق...

وكل من صدع بالحق من العلماء المخلصين، وهم كثر بفضل الله...

رحم الله من مات وغفر الله للأحياء، وفرج الله كرب المأسورين والمضطهدين منهم...

اللهم ثبتنا على الحق وانصر الإسلام وأهله في كل مكان...

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فقد عاشت أمة الإسلام قرونا عديدة عزيزة بفضل الله ثم بفضل علماء رفعوا راية الحق وجاهدوا من أجلها وتحملوا فى سبيل الله كل بلاء من أجل كلمة الحق، واليوم.. ابتليت أمة الإسلام بمن تم

إعدادهم فكريا وذهنيا وأمنيا ليكونوا شيوخا للملوك والرؤساء يدافعون عن باطلهم وظلمهم ويحرفون رسالة الإسلام ومقاصدها فى التوحيد والعقيدة والحق والعدل ليحرفوا الرسالة عن مقاصدها، ويجعلوها في خدمة حماية نظم حكم معادية للدين، وأداة تثبيت لحكم الطغاة الجبابرة وظلمهم وباطلهم، تدليسا وتحريفا للكلم عن مواضعه.

ولهذا عظم شرهم وانتشرت فتنهم وتسببوا في ضلال كبير، أعان على تمكين الطغاة، مستخدمين مامكنوا منه من أدوات التوجيه في الفضائيات والمنابر والصحافة، التي جندت جميعها في الوقت نفسه من محاربة كل داعية مصلح يجهر بالحق...

إن شيوخ السلطان تسربلوا بكل باطل وضلال وخانوا أمانة العلم و فتنوا الناس فى دينهم بباطلهم الذي ألبسوه لباس الحق معتمدين على أدلة شرعية حملوها على غير وجهها مثل بعض الأحاديث التي تتناول السمع والطاعة للحاكم المسلم فى غير موضعها، و بكلام للسلف الصالح حملوه أيضًا على غير وجهه وما أريد به.

وفى كتابى هذا الصغير أفضح بفضل الله باطلهم فى الاستدلال فى السمع والطاعة للطغاة بالأدلة الشرعية ،وأشرح سبب نفاقهم من ناحية فكرهم وشخصياتهم مستدلًّا بكلام أهل العلم الصادقين واتوقف بإشارات واضحة على أهم مواقف وتصريحات شيوخ السلطان الباطلة الفجة القميئة:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

وأقوم بعرض بعض مواقف السلف الصالح الربانيين فى قيامهم بأداء الأمانة فى مواجهة باطل وظلم الحكام بكل وضوح وبدون تردد ولا مجاملة محتسبين اجرهم على الله وقائمين بالأمانة بالمهمة التي أنيطت بالعلماء.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

لذلك رأيت من واجبي بذل المستطاع لوقف شر شيوخ السلطان الذى استشرى وفضح فسادهم، والله المستعان وعليه التكلان وعلى الله قصد السبيل...

ممدوح اسماعيل

١٤٤٠/٢٠١٨
اسطنبول

يا علماء السلاطين وشيوخ الطغاة
لا سمع وطاعة لكافر أو طاغية

إنَّ علماء السوء اليوم يسيرون بمنهج وسوسة الشيطان؛ فيزينوا الباطل حقًّا. نعم فقد استغل شيوخ السلاطين أحاديث رسول الله ﷺ فى السمع والطاعة للحاكم المسلم للحفاظ على وحدة الأمة إلى أداة للحفاظ على حكم الطغاة الجبابرة وحفظ عروشهم.

إنَّ ديننا الحنيف استسلام واذعان وخضوع لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ وسمع وطاعة لكل حاكم خضع لله ولرسوله ﷺ.

أما تضليل الجماهير باستغلال السمع والطاعة للطغاة والجبابرة فهى الشيطنة التى وسوس بها الشيطان آدم فأخرجه من الجنة.

وأتوقف مع أهم الأحاديث الشريفة ثم بالتعليق بالدليل:

١- عن عبادة بن الوليد أخبرني أبي عن عبادة بن الصامت، قال:

«**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم...**».

٢- عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا: أصلحك الله! حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ قال: «**دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال: فيما أخذ علينا أن بايعنا على**

السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان...».

٣- فى صحيح مسلم: قال حذيفة بن اليمان قلت: «**يا رسول الله! إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: نعم، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم، قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك فاسمع وأطع...».**

هذه الأحاديث الثلاثة يستدل بها البعض لتضليل الجماهير وفرض السمع والطاعة للطغاة بالترهيب من ظاهر الأحاديث وتحريف فقهها.

والحديث الأول والثانى لعبادة بن الصامت فى صحيح البخارى، والثالث لحذيفة فى صحيح مسلم مع وجود زيادة (وان ضرب ظهر ك وأخذ مالك) التى اختلف فيها أهل صنعة الحديث مابين منكر لها بالتضعيف ومقر لها بالتصحيح على أي حال مع صحة الحديث أتوقف مع الاتي.

أولًا- أن هذه الأحاديث فى السمع والطاعة للحاكم المسلم القائم بتحكيم شريعة الإسلام الموالى لأولياء الله المعادى لأعداء الله وليست للطغاة المبدلين لشريعة الإسلام الموالين لليهود والنصارى المعادين

للمسلمين وأولياء الله، وعلى ذلك قال ابن حجر فى تعليقه على حديث عبادة في فتح الباري: (إنه – أي الإمام – ينعزل بالكفر إجماعًا فيجب على كل مسلم القيام في ذلك فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض).

أي لا طاعة للإمام الذى كان مسلما وطرأ عليه الكفر بل يجب عزله بالقوة وعلى تفصيل بين العلماء فى ما دون الكفر لكن الشاهد أنه لا يحكم المسلمون حاكم معاد للإسلام ولا طاعة له بل يجب خلعه وليس نفاقه ومداهنته وتجميل طغيانه كما يحدث اليوم.

ثانيًا– الطاعة ليست مطلقة للحاكم المسلم كما يفعل هؤلاء المضلون البراهمة والرسلانيون فى مصر والمدخلية والجامية فى الجزيرة العربية وغيرها من بلاد المسلمين للاتى:

١ – راوى حديث البخارى عبادة بن الصامت أول من يوضح للجهال والمضللين كيف يفهمون حديث رسول الله ﷺ عن السمع والطاعة الذى يحتجون به وينزلونه فى غير موضعه على طواغيت العصر فإنه أنكر على من كان يستحق وصف ولى الأمر فعلًا، كما فى صحيح مسلم عن أبى الأشعث قَالَ: «**غَزَوْنَا غَزَاةً وَعَلَى النَّاسِ مُعَاوِيَةُ فَغَنِمْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً فَكَانَ فِيمَا غَنِمْنَا آنِيَةٌ مِنْ فِضَّةٍ فَأَمَرَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا أَنْ يَبِيعَهَا فِي أُعْطِيَاتِ النَّاسِ؛ فَتَسَارَعَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ فَبَلَغَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَقَامَ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ،**

وَالْبُرِّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرِ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحِ بِالْمِلْحِ إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، عَيْنًا بِعَيْنٍ؛ فَمَنْ زَادَ أَوْ ازْدَادَ فَقَدْ أَرْبَى». فَرَدَّ النَّاسُ مَا أَخَذُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: «أَلَا مَا بَالُ رِجَالٍ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَادِيثَ قَدْ كُنَّا نَشْهَدُهُ وَنَصْحَبُهُ فَلَمْ نَسْمَعْهَا مِنْهُ. فَقَامَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ فَأَعَادَ الْقِصَّةَ ثُمَّ قَالَ: «لَنُحَدِّثَنَّ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِنْ كَرِهَ مُعَاوِيَةُ - أَوْ قَالَ وَإِنْ رَغِمَ - مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَصْحَبَهُ فِي جُنْدِهِ لَيْلَةً سَوْدَاءَ» رواه مسلم.

سئل عبادة بن الصامت أرأيت أن اطعت أميرى فى كل ما يأمرنى به قال عبادة: (**فيؤخذ بقوائمك فتلقى في النار، وليجيء هذا فينقذك**). [كتاب الاستذكار] وقد تعامى من يستدلون بالحديث عن (**لفظ نقول الحق حيثما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم**) وهو لفظ تابع للسمع والطاعة التى للحاكم المسلم ومع ذلك لايمنعنا ذلك من الجهر بالحق.

٢- إن الله ﷻ لم يأمرنا بالطاعة المطلقة الا للرسل - عليهم الصلاة والسلام - وهؤلاء العلماء المضلون الذين لا يأمرون بطاعة الملوك والحكام فقط بل بتزيين كل باطل لهم حقا وتبريره فلايرون في أخطاء ومظالم الحاكم إلا خيرًا! ويطالبون الناس بالسمع والطاعة وهؤلاء من المنافقين.

يقول شيخ الإسلام في هذا المقام: (من نصب إماماً فأوجب طاعته مطلقاً اعتقاداً أو حالاً فقد ضل في ذلك، كأئمة الضلال الرافضة

الإمامية، حيث جعلوا في كل وقت إماماً معصوماً تجب طاعته، فإنه لا معصوم بعد الرسول، ولا تجب طاعة أحد بعده في كل شيء). وقال في السبعينية: (وقد اتفق المسلمون على أنه ليس من المخلوقين من أمره حتم على الإطلاق إلا الرسل الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء ٦٤]. وأما من دونهم فيطاع إذا أمر بما أمروا به، وأما إذا أمر بخلاف ذلك لم يطع..) [مجموع الفتاوى].

٣- الإسلام وضع حدا فاصلا واضحا وصريحا كحد السيف فى الطاعة؛ أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق - عز وجل - إنما الطاعة في المعروف كما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

«**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة**». وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس يا ابن أم عبد طاعة لمن عصى الله، قالها ثلاث مرات» الإمام احمد. وفى الحديث «**لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق**» رواه الإمام أحمد فى مسنده وهو حديث صحيح مروي في دواوين السنة المشهورة، وله ألفاظ متقاربة ومعناها واحد وروى البخاري ومسلم من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا طاعة لبشر في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**» صحيح البخاري المغازي، وفى صحيح مسلم الإمارة.

وهؤلاء المضلون يحاربون من خالف الحكام ولم يسمع ويطع لهم فى معصية الله ويعتبرونه متطرفًا وخارجيًا وإرهابيًا ويطالبون بالقبض

عليه فيتم القبض عليه كما حدث فى مصر والسعودية مع الشيوخ والدعاة المصلحين بوشاية الشيوخ الضالين...

ولايفوتنى الإشارة إلى ماذكره الخَلَّال فى «كتاب السنة»:

أن عمر بن الخطاب كتب إلى والى الكوفة: (**من ظلمه أميره فلا إمرة له عليه دوني، فكان الرجل يأتي المغيرة بن شعبة فيقول: إما أن تنصفني من نفسك وإلا فلا إمرة لك علي**).

قال الحافظ ابن حجر: (ومن بديع الجواب قول بعض التابعين لبعض الأمراء من بني أمية لما قال له: أليس الله أمركم أن تطيعونا في قوله: ﴿**وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ فقال له: أليس قد نزعت عنكم يعني الطاعة إذا خالفتم الحق بقوله : ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾).

قال شيخ الإسلام: (إن أهل السنة لا يوجبون طاعة الإمام في كل ما يأمر به، بل لا يوجبون طاعته إلا فيما تسوغ طاعته في الشريعة، فلا يجوّزون طاعته في معصية الله وإن كان إماما عادلا) [منهاج السنة].

٤- طاعة الحكام فى معصية الله خطر عظيم فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**أعوذ بالله من إمارة الصبيان، قالوا وما إمارة الصبيان؟ قال إن أطعتموهم هلكتم - أي في دينكم - وإن عصيتموهم أهلكوكم - أي في دنياكم بإزهاق النفس أو بذهاب المال أو بهما معاً -**» [أخرجه ابن شيبة].

وكأنه يعيش بيننا يتكلم عن إمارة اولاد زايد وابن سلمان ولايفوتنا الإستدلال بما جاء في قصة سرية عبدالله بن حذافة ﷺ عندما أمر أصحابه بأن يوقدون نارا ويدخلوها.. فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف**» [اخرجه الشيخان].

ثالثًا:- الأحاديث واضحة فى السمع والطاعة وعدم الخروج على الحاكم المسلم، ولكن الأحاديث ليس فيها نهي مطلقًا عن النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فمن أين أخذ دعاة الضلال عدم الإنكار والتضليل بل تحريف الكلم عن مواضعه. وعبادة بن الصامت راوى حديث السمع والطاعة لم يفهم ما فهمه المنافقون.

وجاء في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي:

(أن الصحابي الجليل عبادة بن الصامت كان في الشام ينكر على معاوية بن أبي سفيان أشياء علنية ويحتج بحديث البيعة السابق، فكتب معاوية إلى عثمان: أن عبادة بن الصامت قد أفسد علي الشام وأهله. فلما جاء عبادة إلى عثمان ﷺ قال له سمعت النبي ﷺ يقول: «**إنه سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى فلا تعتلوا بربكم**» [أخرجه أحمد].

وواضح من موقف عبادة بن الصامت انه نصح وأنكر علانية لمعاوية وذلك لم ينقض السمع والطاعة للحاكم المسلم.

وضاق معاوية من الإنكار فلم يحيله للمحكمة الجزائية بالرياض

أو العسكرية فى القاهرة لإعدامه بل شكاه فقط إلى أمير المؤمنين فى المدينة عثمان. ولو كان الإنكارعلانية منكرًا ما قام به عبادة أو أن عثمان أعلن رفضه لفعل عبادة بن الصامت وكيف لاينكر عبادة ويقبل عثمان والله ﷻ يقول: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران ١١٠].

ومما يدل على وجوب النصح والانكار علانية إذا كان المنكر علانية.

١- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥]. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه». [رواه أبو داود والترمذي والنسائي].

٢- عن تميم بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**» رواه البخاري ومسلم.

٣- وعن حذيفة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**والَّذِي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عَنْ الْمُنْكَر أَوْ ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ثُمَّ تدعونه فلا يستجاب لكم**». رَوَاهُ الترمذي، وَقَالَ: حديث حسن.

٤- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**» رواه مسلم.

٥- عَنْ أَبِي سعيد الخدري ﷺ قَالَ: سمعت رَسُول اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فَإِنَّ لم يستطع فبلِسَانه فَإِنَّ لم يستطع فبقَلْبهُ وَذَلِكَ أضعف الإِيمَان**» رواه مسلم.

بعض المنافقين من شيوخ السلطان الآن يقولون للهروب من واجب النصح والانكار للطغاة والحكام الظلمة أنه يجب النصح سرًا!؟ كيف سرًا!؟ وهم يحتقرونكم ثم أنتم لاتقابلون السلطان إلا وتركعوا وتسجدوا بالنفاق له!! وهم يستدلون بحديث على خلاف في صحته وضعفه: (من عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه علانية وليخلو به فإن قبلها وإلا أدى ما عليه وله).

وعلق الدكتور محمد أنور أستاذ علم الحديث فقال: ضابط النصح السر بالسر والعلانية بالعلانية ما لم ينتشر المنكر ويكون هو الأصل.

والحقيقة أنهم إن قابلوا الملك والرئيس سرًا قابلوه بوشاية على عالم صادق أو طلب من الدنيا وهم يقبلون يديه سرًا وعلانية ومفهوم السر ممكن قبوله لأمثال عمر بن العزيز أو إذا كان العلن مفسدته راجحة يقدرها العالم الصادق عند حاكم مسلم يعرف قدر العلماء، ولكن حكام اليوم مفاسدهم علانية وأشاعتهم الفاحشة علانية وظلمهم

علانية بل وكفر بعضهم علانية ويملكون أجهزة إعلام جعلت المنكر معروفًا علانية والمعروف منكرًا علانية ويحاربون أهل المعروف علانية، ويمدحون أهل المنكر علانية، وقد ساعدت الفضائيات ووسائل التواصل على علانية كل منكر؛ فوجب الإنكار علانية لصيانة الحق، ونصح الأمة، وحماية الشعوب من التضليل. والأدلة لاتحصى:

١- عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قال إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**». رواه الحاكم وصححه، وصححه الألباني.

٢- عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**» رواه مسلم.

٣- عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ طَارِقٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ**» رواه الإمام أحمد في مسنده.

وقد قام الصحابة بالنصيحة مع خير الصحابة الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم وهم لايقارنوا أبدًا مع حكام اليوم ومفاسدهم وشرهم وإجرامهم.

٤- عمر بن الخطاب أعلن مايراه نصحًا لأبي بكر رضي الله عنه ولم يتردد رغم شدة الموقف، وذلك عندما أراد الصديق قتال أهل الردة. ومازال أبو بكر رضي الله عنه يجادله حتى أقنع عمر برأيه، في حديث رواه مسلم بلفظ قال فيه عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**».

٥- عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى، فَأَوَّلُ شَىْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلاَةُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَيَقُومُ مُقَابِلَ النَّاسِ، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى صُفُوفِهِمْ، فَيَعِظُهُمْ وَيُوصِيهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ، فَإِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْثًا قَطَعَهُ، أَوْ يَأْمُرَ بِشَىْءٍ أَمَرَ بِهِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى خَرَجْتُ مَعَ مَرْوَانَ وَهْوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ فِى أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ، فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمُصَلَّى إِذَا مِنْبَرٌ بَنَاهُ كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ، فَإِذَا مَرْوَانُ يُرِيدُ أَنْ يَرْتَقِيَهُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّىَ، فَجَبَذْتُ بِثَوْبِهِ فَجَبَذَنِى فَارْتَفَعَ، فَخَطَبَ قَبْلَ الصَّلاَةِ، فَقُلْتُ لَهُ غَيَّرْتُمْ وَاللهِ. فَقَالَ أَبَا سَعِيدٍ، قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ. فَقُلْتُ مَا أَعْلَمُ وَاللهِ خَيْرٌ مِمَّا لاَ أَعْلَمُ. فَقَالَ إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصَّلاَةِ فَجَعَلْتُهَا قَبْلَ الصَّلاَةِ.

وفي لفظ: عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ - وَهَذَا حَدِيثُ أَبِى بَكْرٍ - قَالَ أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلاَةِ مَرْوَانُ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ الصَّلاَةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. فَقَالَ قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ. فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا

عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**».

فنجد أن الصحابي أبا سعيد الخدري فهم من حديث إنكار المنكر أنه في العلن لأن المنكر وقع في العلن ولم يعترض عليه الصحابة في ذلك...

رابعًا - حديث حذيفة بعيدا عن الخلاف فى الزيادة (**وان جلد ظهرك وأخذ مالك**)وصحتها وتضيعفها لكن رغم ذلك فالحديث يفهم منه بعموم الأدلة من القرآن والسنة الاتى مع ماسبق وقدمنا:

١ - أن ذلك فى حد من الحدود؛ فلا يدفعك ذلك إلى الخروج على الحاكم المسلم، وقيل أن جلد ظهرك فى حد وأخذ مالك بحق.

٢ - لو أن ذلك ظلما فلك أن تطالب بحقك ولكن لاتخرج على الحاكم المسلم لأنه معاذ الله أن تكون شريعته تطالب الناس بقبول الظلم.

وقد روى الإمام البخاري في التاريخ الكبير عن محمد بن النعمان بن بشير، أن أباه أخبره، أن عمر قال يوما في مجلس، وحوله المهاجرون والأنصار: أرأيتم لو ترخصت في بعض الأمر، ما كنتم فاعلين؟ فسكتوا، فعاد مرتين، أو ثلاثا، قال بشير بن سعد: لو فعلت قومناك تقويم القدح، قال عمر: أنتم إذن أنتم...

وقد روى أبو يعلى والطبراني عن أبي قبيل قال: خطبنا معاوية في يوم جمعة فقال: إنما المال مالنا والفيء فيؤنا، من شئنا أعطينا ومن شئنا منعنا،

فلم يرد عليه أحد، فلما كانت الجمعة الثانية قال مثل مقالته، فلم يرد عليه أحد، فلما كانت الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام إليه رجل ممن شهد المسجد فقال: كلا، بل المال مالنا والفيء فيئنا، من حال بيننا وبينه حاكمناه بأسيافنا، فلما صلى أمر بالرجل فأدخل عليه، فأجلسه معه على السرير، ثم أذن للناس فدخلوا عليه، ثم قال: أيها الناس إني تكلمت في أول جمعة فلم يرد علي أحد، وفي الثانية فلم يرد علي أحد، فلما كانت الثالثة أحياني هذا أحياه الله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيأتي قوم يتكلمون، فلا يرد عليهم، يتقاحمون في النار تقاحم القردة فخشيت أن يجعلني الله منهم، فلما رد هذا علي أحياني أحياه الله، ورجوت أن لا يجعلني الله منهم.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى، ورجاله ثقات. اهـ. صححه الالباني.

ثم إن حذيفة هو القائل عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجابُ لَكُمْ**». رواه الترمذي.

من هنا نتوقف مع ما كتبه أهل صنعة الحديث فى زيادة وان جلد ظهرك. فقالوا (أنَّ الطريق الذي فيه ضعف يسير (كالإرسال مثلاً) إذا روي من طريق آخر صحيح تبينا صحة المرسل شرط ألا تكون فيه زيادة تضيف حكماً... نعم أصل الحديث ثابت لكن هذه الزيادة قيل أنها لا تصح لأنها جاءت بسند منقطع.

هذا وفي حديث حذيفة هذا زيادة ليست في حديث حذيفة المتفق عليه وهي قوله: «وإن جلد ظهرك وأخذ مالك» فهذه الزيادة قيل أنها ضعيفة لأنها من الطريق المنقطعة).

عندما نقلب صفحات التاريخ المعاصر نجد أن هؤلاء الخونة الذين حرفوا الكلم عن مواضعه تمت تربيتهم وإعدادهم فى محاضن الطغاة فأصدروا الفتاوى لتعبيد الناس للطغاة وليس لتعبيد الناس لرب العالمين وتصدروا مكانة العلماء والقيادة الإسلامية وتمرغوا فى بلاط الحكام والعسكر فوجب فضحهم فقد تسببوا فى حالة ضلال وفتن رهيبة للمسلمين عامة و لجيل الصحوة الإسلامية خاصة من السبعينات حتى الآن فقد قلبوا الحقائق خدمة لاسيادهم ومصالحهم الشخصية والحزبية الضيقة والإسلام والحق بريئان منهم ومما فعلوه...

فقد عمدوا إلى قبول الشعوب بالتضليل والتدليس والشبهات والحكم بغير شريعة الإسلام، ومن مفاسدهم الخطيرة دعمهم النظام السعودي فى دعمه حرب الأمريكان الصليبيين على العراق، وبعد ما قالوا إن صدام بطل القادسية فى حربه مع إيران، قالوا: إن صدام طاغية وجب إزالته! مثل آل الشيخ بفروعهم والعبيكان والسدلان والفوزان؛ فدعموا الصليبيين فى قتل مئات الآلاف من المسلمين، ومكنوا للشيعة الرافضة من حكم العراق بدعم من الهالك الملك عبدالله ولما انتهوا من صدام لم يتوقف دعم شيوخ السلطان للأمريكان الصليبيين فدعموهم بالفتاوى الضالة لحرب المقاومة الإسلامية التى تدافع عن أرضها

وعرضها ودينها فى العراق ثم أفغانستان تحت مسمى الحرب على الإرهاب، وأعلنوا السمع والطاعة لبوش الصليبى الذى قال: من ليس معنا فهو ضدنا! فكانوا مع بوش ضد محمد وعمر وعبدالله فى العراق وأفغانستان، وحالة هؤلاء ليست حكرا على من تسببوا للسلفية زورا، فقد وقف فى خندقهم المنتن الحزب الإسلامى فى العراق وأفغانستان!!

واسلامنا يقول لنا: «**المسلم أخو المسلم لايسلمه ولايخذله**».

وفى الجزائر كانت المصيبة حيث وقف حزب (حمس) مع العسكر تربية الفرنساوية الصليبية ضد إرادة المسلمين فى الجزائر المتمثلة فى جبهة الإنقاذ، ودارت رحى النفاق والظلم في مصر ليشهد العالم مشهدا عجيبا لمن ارتدى ملابس الشيوخ انه ياسر برهامى الذى وقف مع الشيوعيين والعلمانيين والنصارى والعسكر تربية كامب ديفيد فى مصر فى الانقلاب على حاكم مسلم جاء بإرادة من المسلمين وانعقدت الآمال عليه فى حماية المسلمين بالحرية والعدل، ولكن الخونة جلسوا يمثلهم جلال مرة فى ٣يوليو ٢٠١٣ ليعلنوا دعمهم لانقلاب العسكر على حق المسلمين فى العدل والحرية، ولم يكتفوا بذلك بل دعم وبرر كبيرهم ياسر برهامى قتل العسكر للمسلمين حافظى القرآن فى مذبحة رابعة والنهضة وسيدى جابر، وكان قمة هرم الخيانة هو إعلان برهامى ومخيون وحزب الزور دعم قائد انقلاب العسكر القاتل للمسلمين الخائن كرئيس للجمهورية وأخرجوا نساءهم تقف أمام لجان الانتخاب بالطوابير لدعم عسكرى

خائن والتفاصيل تحتاج كتاب قادم إن شاء الله وفى السعودية لايختلف الأمر فقد دعم شيوخ السلطان الانقلاب وأخرج ربيع المدخلى صبيانه تدعم وتؤيد الطغاة فى إسقاط حق الشعوب فى الاسلام والعدل والحرية ليس فقط فى مصر لكنهم وقفوا مع كل طاغية ظالم ضد حق وحرية الشعوب فى ليبيا وتونس والتفاصيل لها كتاب.

ولكن بلاشك توجد حالة مرضية سرطانية تم صناعتها فى معامل كيماوية للنفاق فى أقبية الطغاة وتم نشرها بديكور شكل اسلامى ملتحى تحرف الحق، وتزخرف الباطل وتنصر الظالم وتبطش بالمظلوم وتوالى العدو وتعادى الولى، مما جعلنى اصرخ: هؤلاء ليسوا منا ليسوا منا.

- إنما هم من أعداء هذه الأمة أعداء الفطرة.

- أعداء الحق.

- أعداء الخير.

- أعداء الإسلام.

- أعداء العدل.

- انهم ليسوا علماء الإسلام.

- إنما هم علماء أولياء الشيطان؛ يوالون كل ظالم، ولاينكرون على حكام تركع لليهود والنصارى وتعمل سيفها فى رقاب المسلمين الصالحين.

حكام بدلت شرع الله، وتنشر الربا وشرب الخمر والفواحش وحفلات المجون، وإلغاء المواريث، واباحة زواج المسلمة بنصرانى أو يهودي، وسيادة حكم الصليب على حكم بلاد المسلمين؛ حتى ضاع الإسلام فى بلاد الإسلام، وأصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا بخلاف إنهم يسرقون أموال الشعب ويقدمونها قرابين لليهود والنصارى ويعصرون الشعب عصرًا ليعيش فقيرًا مريضًا محتاجًا.

وهؤلاء علماء السلطان يباركون العسكر فى بلاد المسلمين الذى بدلًا من حماية الأرض ضد الأعداء والدفاع والجهاد ضد كل عدو أصبحوا آلة حرب وقتل ضد الشعوب لقهرها وإذلالها لقبول الظلم وكل منكر ومن عجائب الزمان أنهم يعادون من يريد الإصلاح والحق والعدل.

* * *

وقفات مع نفاق العلماء خدم الطغاة
وحالة انتكاس العلماء

تمر الأمة الإسلامية بمصائب شتى، من احتلال وطغيان وظلم وتضييع للشريعة والعقيدة وتحريف لها، ومن أكبر المصائب مصيبة العلماء الذين ضيعوا قيمة العلم ورسالته وأمانته بنفاق الحكام، فأصبح كثير منهم كعلماء بني اسرائيل يحرفون الكلم عن مواضعه؛ نفاقاً للحكام ولتحقيق مصالحهم الشخصية فضلوا وأضلوا، في وقت تحتاج الأمة إلى العالم العامل بدينه الثابت على الحق القائم برسالة الله.

وقد اشترى كثير من الطواغيت علماء؛ كي يفرشوا لهم طريق الطغيان والظلم والاستبداد بتحريف وتبديل لشرع الله حتى تم تمكين كثير من الطغاة من حكم بلاد المسلمين بواسطة هؤلاء المنافقين، ممن ينتسبون الى العلم في مصر والسعودية وليبيا وسوريا والامارات وكثير من بلاد المسلمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومن الأمثلة المعاصرة الشاذة التي طفح بها الكيل، يقول الشيخ المنافق عبد العزيز الريس: (إن الحاكم لو زنى وشرب الخمر على الهواء علانية فلا يجوز الإنكار عليه!) وقد كافأته الحكومة السعودية بعد نفاقه بتعيينه أستاذاً في جامعة الإمام بالرياض!

ويكتب حسين آل الشيخ منتقداً ثورات الشعوب من أجل الحق وضد الظلم، وله مع صالح الفوزان كتاب عن المحافظة على هيبة ولاة الأمر الذين يظلمون ويستبدون ويوالون أعداء الله!

ويقول أحدهم بسفاهة ونفاق منعدم النظير، وهو على المالكي أن للحاكم أن يقتل ثلثي الشعب من أجل مصلحة الثلث الآخر! (**لو كان يملك مزرعة أغنام ما قتلهم هذا المنافق**).

وعبدالمحسن العبيكان أحد علماء السلطان على قناة (MBC) اللبنانية الممولة من السعودية، حيث دعى لدعم حكومة العميل (**علاوي شيعي علماني أمريكي**) في العراق فقال: (إنه ولي أمر شرعي تجب طاعته!) فلما قال له السائل: ولكن أمريكا هي التي عينته وفرضته؟ فقال: (ولو عيّن الكفار ولي أمر لبلاد المسلمين، فهو إمام شرعي تجب طاعته!).

وعلى الدرب يسير الكلباني والسويدي وغيرهما ينافقان الحكام وقد تخطى الكلباني كل الحدود عندما كتب على تويتر (ترامب يذكرني بقول نبي الله: «وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر!»). هل يتخيل عاقل أن ترامب الصليب الكافر الذي يحكم أكبر دولة في العالم تعادي الإسلام والمسلمين ينصر الإسلام! إنه النفاق عابر الحدود.

وفي مصر برهامي بعد مذبحة رابعة والنهضة التي قتل فيها عسكر الإنقلاب بقيادة السيسي الآلاف من المسلمين المعصومين واعتقل الآلاف من المسلمين والمسلمات الأبرياء وحرَّق ودمَّر وخرَّب بيوت

المسلمين يعلن برهامي أنه يؤيد السفاح السيسي القاتل للمسلمين لرئاسة مصر تعبدًا إلي الله وحفظًا لحقوق المسلمين!، أي عقل وفكر وضلال ينطق بهذه الكلمات!

وقد علق المفكر الإسلامي د. محمد عباس

فقال: أيهما أكثر خيانة السيسي أم برهامي؟

أيهما أشد إجرامًا..

برهامي أم محمد ابراهيم (وزير الداخلية)

ثم إستطرد قائلًا: اللهم احشر ياسر برهامي مع السيسي و محمد ابراهيم.

وعلي جمعة يحرض على قتل المسلمين، والهلالي وكريمة والجفري وخالد الجندي وأمثالهم كثيرون، من المدخلية والجامية والبرهامية والرسلانية الذين جعلوا الحاكم مهما فعل وايًا كان دينه واجب طاعته وجعلوا الولاء والبراء في الحاكم وليس في الله

وهؤلاء تم نشرهم عمدا في بلاد المسلمين حتى أصبح النفاق للحكام أساساً للحكم، ويقدمون لهم الفتاوى التي تؤيد باطلهم وعمالتهم وطغيانهم، وتبديلهم لشريعة الرحمن وإفسادهم في الأرض ويمنعون الناس من الإنكار بفتاوى ضالة تبول بها إبليس في عقولهم وأفواههم فنطقوا بها.

ومن أمثلة شيوخ السلطان سعد الهلالى أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر الذى قال مادحًا للقتلة (ابتعث الله رجلين، كما ابتعث وأرسل من قبل موسى وهارون، وأرسل رجلين ما كان لأحد من المصريين أن يتخيل أن هؤلاء من رسل الله!! وما يعلم جنود ربك إلا هو».

هذان الرجلان هما وزير الدفاع المصري، الفريق عبد الفتاح السيسي، ووزير الداخلية، اللواء محمد إبراهيم، ويستطرد فى ضلاله فيؤكد أن وزير الدفاع ووزير الداخلية القتلة قد «خرجا لتحقيق قول الله! «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله»).

وهو بذلك يستحل قتل المسلمين الذين لم يرتكبوا ما يوجب إباحة دمهم وهم من حفظة القرآن الذين اعتصموا بسلمية فى رابعة فكانت مذبحة رابعة بيد السيسى ومحمد ابراهيم وفتاوى شيوخ السلطان على جمعة والهلالى وعمرو خالد و وغيرهم.

أما مثيلهم طلعت زهران:

يقول (يجوز تزوير الانتخابات للمصلحة لأن الديمقراطية كفر والتلاعب بها جائز ويقول عن حسنى مبارك كان واجب عليه يزور الإنتخابات وله الثواب عن الله على تزويره الانتخابات كثواب جمال عبدالناصر لإعدامه سيد قطب وكل أعضاء المجلس العسكري لهم السمع والطاعة!!)

أى ضلال وزيغ هذا يبيح للحاكم المبدل لشرع الله الظالم الطاغية

أن يقوم بتزوير إرادة الشعب ويجعل المزورين فى مناصب الحكم والتشريع! ويزيد أن له حسنات! ويجعل لعبد الناصر ثوابًا عند الله فى قتله للأستاذ سيد قطب رحمه الله! وأن العسكر تربية كامب ديفيد المعروفين بالولاء للأمريكان واليهود لهم السمع والطاعة!

فهو يعادى الإسلاميين إذا فازوا بانتخابات نزيهة بدون تزوير! ويبارك للطغاة التزوير وكأن المصلحة فقط فى حكم الطغاة الظلمة!... من أى بيئة ظهر هؤلاء الناس؟. يمجدون الطغاة ويذمون الصالحين والله إن فطرتهم منتكسة وعقولهم خربة والسنتهم مغارف من قلوب سوداء...

أما ربيع المدخلي فقط انبرى مدافعًا عن قرار الملك بالإستعانة بالكفار عندما دخل الأمريكان بصليبهم إلى جزيرة العرب وانتفض جمع من العلماء المخلصين رافضين لوجودهم فأصدر كتابًا للردّ على رَفْض الإستعانة بالقوات الأجنبية عنونه «صد عدوان الملحدين وحكم الاستعانة على قتالهم بغير المسلمين» وهو كتاب ملىء بالمغالطات التى سردها ليؤكد ولاءه لحكام السعودية فى أى شىء يفعلونه مهما كان مخالفًا للشرع (قال الشيخ الألباني عن الكتاب إنه مصيبة) والعنوان فى وصفه جيش العراق على عمومه بالملحدين غلو رهيب وعجيب من مرجىءاما الكفار فيصفهم بكل رقة بلفظ غير المسلمين!! لسانه وحكمه سليطين على المسلمين ورقيقين مع الطغاة والكفار كي ينال رضا السلطان ومن ضلاله أنه ارسل

لأتباعه فى ليبيا للإنضمام إلى حفتر العلماني قائلا.الإخوان يلبسون لباس الإسلام وهم أشد على السلفيين من اليهود والنصارى»! هل يقول ذلك عاقل؟!.

قال ابن تيمية رحمه الله: (والمنافقون ما زالوا ولا يزالون إلى يوم القيامة).

وكذلك قال ابن القيم رحمه الله معللاً كثرة ذكر المنافقين في القرآن: (واعلم أنه كلما انقرض منهم طوائف خلفهم أمثالهم، فذكر سبحانه أوصافهم لأوليائه ليكونوا منهم على حذر).

ولا تجد منهم من يجهر بكلمة حق من أجل المقدسات والأقصى وفلسطين ولا دماء وأعراض المسلمين التي تستباح في كل مكان بل جعلوا من يدافعون عن الأقصى (حماس) **إرهابيين! وهم متفقون مع أعداء الإسلام على ذلك.**

وفي هؤلاء يقول ابن مُفلح رحمه الله، في الآداب الشرعية:

(قال مُهَنَّا: سألتُ أحمد بن حنبل، عن إبراهيم بن الهَروي... فقال: رجلٌ وَسِخ.. فقلت: ما قولُك: إنه وسِخ؟! قال: مَن يَتْبَعُ الولاةَ والقُضاة؛ فهووسِخ).

وصدق ابن المبارك رحمه الله حين قال:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

ومن ناحية أخرى فقط كثر أدعياء العلم، والحافظون للكتب

والمتون، الذين هم أقرب لكتاب أو شريط كاسيت مسجل ويعلنون أنهم أهل العلم! ولا ينكرون منكراً ولا يأمرون بمعروف، ومنهم من يتاجر بعلمه ويحقق به المصالح، ومنهم من يبتغي الشهرة ومنهم ومنهم، ومع المحن والطغيان وضياع الشريعة وفساد العلماء، أصبح العلماء في مرمى الاتهام وتشكك الناس فيهم وزاد البلاء وقل أو ندر الأسوة الحسنة في العلماء.

ولايفوتني الإشارة هنا إلى فريق من العلماء طوعوا الأدلة الشرعية وحرفوها لخدمة فكرهم ومنهجهم السياسي لموافقة العصروالغرب والواقع، فمزقوا قواعد التوحيد والأدلة الشرعية كي توافق هواهم، وجعلوا الوسائل مقاصد، وكل فكرة أرضية جعلوها بسبب هزيمتهم الفكرية من مقاصد الإسلام.

(الاشتراكية والليبرالية والديمقراطية) أصبحت كالخمر معلوم حرمته، ولكنهم يتعاطونه فيلعب بعقولهم وأفكارهم، مستدلين ببعض منافعه، وفي الإسلام كل النفع والخير التام، قال تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩]

والمصيبة الكبرى أن غالبية هؤلاء الذين يحرفون كلام الله وينافقون يقولون زورا وبهتاناً أنهم ينتمون للسلف، والسلف الصالح بريء منهم تماماً بل هي محاولة للتزييف والتزوير بارتداء ثوب ناصع على جسد نجس متسخ.

قال الإمام النووي رحمه الله: (ومن التساهل أن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحرمة أو المكروهة، والتمسك بالشبه طلباً للترخيص لمن يروم نفعه، أو التغليظ على من يريد ضره).

[آداب الفتوى للنووي، ص: ٣٧].

* * *

أسباب سقوط شيوخ السلاطين في نفاق الحكام

١ـ فساد العقيدة

فغالبهم مرجئة وعلمانيون، وفي هؤلاء يقول الأستاذ محمد قطب رحمه الله: (**إن الفكر الإرجائي كان على امتداد الزمن أشدُّ خطراً على العقيدة الإسلامية والحياة الإسلامية من كل معضلات الفلسفة التي دخلت في دراسة العقيدة ... القول بأن الإيمان هو التصديق، أو هو التصديق والإقرار – على أحسن الفروض– وإخراج العمل من مسمى الإيمان كان من أخطر المزالق التي أدخلتها الفرق على تلك العقيدة الصافية ومفهومها الصحيح، وإذا كان هذا الانحراف الخطير في فهم عقيدة التوحيد لم يؤثر في الحياة الإسلامية؛ لأن الدفعة الحيوية الهائلة التي أطلقها الإسلام في واقع الحياة كانت ما تزال تتدفق في صورة عمل واقعي بمقتضى هذه العقيدة، فإنهُ تدريجياً، مع الميل البشري الطبيعي إلى التفلت من التكاليف، حدث تقاعس مستمر على العمل بمقتضى هذا الدين اكتفاءً بأن حقيقة التوحيد مستقرة في القلب، مادام الإنسان قد صدَّق وأقر بأنه لا إله إلا الله! وأنه ما دامت هذه الحقيقة مستقرة في القلب فقد تمَّ الإيمان المطلوب، ولم يعد يضر مع الإيمان شيء! ألهذا أنزل الله دينه وأرسل رسوله؟! لمجرد أن يُصدِّق الناس بقلوبهم ويقروا**

بألسنتهم، ثم يتركوا واقع الحياة تحكمه الجاهلية التي لا تصدِّق بقلبها ولا تقول بلسانها...)

ومن هؤلاء الذين يرعاهم الطغاة في السعودية الجامية والمدخلية وفي مصر اتباع رسلان والرضواني وطلعت زهران، ولحق بهم برهامي وغيرهم انتشروا في البلاد العربية والإسلامية.

ولايفوتني الإشارة هنا إلى فريق من هؤلاء، يقولون إن الحاكمية مصطلح لم يكن موجوداً في عهد السلف الصالح وأنه حديث! بل يزدادوا في غيهم ويقولون إنه اختراع حديث من المودودي وسيد قطب! وإنه ليس من قواعد علم التوحيد، وبعضهم لايقولها علانية ولكن يطبقها في كل أفعاله وأقواله.

والحقيقة أن إفراد الله تعالى بالحكم أصل من أصول الاعتقاد ولايتم الإيمان إلا به، لقوله تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]

ولقول النبي ﷺ: «لتنقضن عرى الإسلام عروةً عروةً، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة».

وهؤلاء يقولون بتلك المقولة حتى يهربوا من تكاليف مواجهة الإنكار على الحكام للحكم بالقوانين الوضعية وعلمانية النظم التي

ينافقونها، وهم علمانيون بنظرية تم عصرنتها إسلاميًا والإسلام منهم بريء، وبعضهم يضلل ويشاغب على الحق ليشوه الحق ويرضى الطغاة وينعم بباطله ونفاقه، ويقول إن القول بالحاكمية كلام الخوارج، وهذا من قمة التضليل.

فهل إذا قال الخوارج «لا إله الا الله محمد رسول الله» لانشهد الشهادتين! وهل إذا قال الخوارج إن الصلاة فرض وركن الإسلام لانصلي! بل هو الحق الذي جاء في كتاب الله في قوله تعالى:

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[الأنفال: ١]

فالحاكمية قضية إيمانية، وكون الخوارج وافقوا الحق في ظاهر مسألة لايعني أن ذلك رأيهم (**الخوارج أهل غلو وغلوهم مرفوض تماماً ولا نقره**).

٢ـ فساد القلوب

حب المال والمناصب والشهوات جعلهم لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر، يقول أبو حامد الغزالي عن ذلك في عصره، فماذا عساه يقول الآن؟!: (وأما الآن فقد قيدت الأطماعُ ألسنَ العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهمُ أحوالَهم، فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا

حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر، والله المستعان على كل حال).

٣ـ فساد التربية

فقد نشأت أجيال من المسلمين على مدى القرن الأخير خاصة في مناخ استبداد وقهر وقتل وظلم لمن يرفع راية التوحيد، فتربى الأطفال الذين سيصبح منهم شيوخ وعلماء على قواعد حكم صنعها القهر.

(من تزوج أمي أقول له ياعمي - وامش جنب الحيط تطورت إلى داخل الحيط - وإن جالك الطوفان ضع ابنك تحت رجليك - وان فاتك الميري (الحكومة) اتمرغ في ترابه - وان دخلت بلد تعبد العجل حش واديله وهكذا) بخلاف القصص التي يتم تداولها حول قتال آل سعود إخوان من أطاع الله، وقتل عبد الناصر للإخوان، والسجون والتعذيب والاضطهاد لمن يخالف الملك أو الرئيس.

في ظل هذه القيم الفاسدة نشأت أجيال خائفة مذعورة، الجبن والنفاق هو أساس طريقها في الحياة ومن هؤلاء خرج أولئك الشيوخ المنافقون.

فمن سلمت عقيدته لم يسلم من فساد القلب، ومن سلم من فساد القلب لم يسلم من فساد التربية.

ومن سلم من كل ذلك ونافق مكرها، فهم قليل والإكراه له حدوده وشروطه، والضرورة تقدر بقدرها، والإكراه والضرورة لاتجعل الباطل حقًا ولا الحرام حلالًا، إنما هو استثناء لظرف طارئ، ولايمكن أن يكون ظرف الاستثناء بالإكراه والضرورة حالة عامة، ولا هو الحق أبداً أبداً.

وقد روى الطبراني في الكبير، والبزار بسند صحيح عن عمران بن حصين قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**».

ويشهد المسلمون في هذه الأيام حالة متزايدة وصارخة ممن يتسمون باسم العلماء زورًا، وقد صدرهم الطغاة في القنوات الفضائية وكل وسائل الإعلام ليسوغوا كل باطل للطغاة، بل ويزينوا أفعالهم الخبيثة وخروجهم على الشريعة بألوان من التضليل، مستخدمين الأدلة الشرعية بالتحريف والتضليل.

ويشتهر في كل بلد مسلم طائفة من هؤلاء الضالين المضلين، حتى صار ذلك من قواعد حكم الطغاة، وقد اشتد شرهؤلاء العلماء أغوات السلطان حتى أصبحوا في شر فكرهم على الدين والأجيال أشر من التنصير والتغريب والعلمانية والشيوعية.

كتب د. محمد عباس المفكر الإسلامى فى كتابه بروتوكولات حكماء العرب مايفسر ظهور شيوخ السلطان وفتاويهم المنافقة والشاذة وذلك على لسان الحكام فقال: - (نحن لا نستطيع بالطبع أن نجعل كل الشيوخ تابعين لنا... لكن ما نستطيعه هو أن نختار من بين التابعين فقط من له حق الإفتاء ورؤساء الشيوخ ورئيس الرؤساء... ألا نسمح إلا لأتباعنا بالظهور على شاشات التلفاز أو الحديث على موجات الراديو أو الكتابة فى صحفنا الرسمية أو تلك التابعة لنا لكننا ندعى أنها غير رسمية... ثم إن علينا أن نحاصر من يرفضون الخضوع لنا... أن نمنعهم من الخطابة فى المساجد أو حتى الاجتماع بالناس... أن ندينهم بالخيانة والمروق..أن نحيلهم لمحاكمنا الاستثنائية... أن نضيق عليهم كل سبيل... أن نتهمهم حتى بالكفر... لكننا لو فعلنا هذا بأنفسنا لاكتشفت الأمة حقيقتنا.. لذلك يجب أن يتصدى لإدانة معارضينا من رجال الدين كبار المشايخ التابعين لنا.. فهنا لن نكون مسئولين أمام الناس عما يحدث... ولا حتى مشايخنا الذين تتحرك ألسنتهم بما يدور فى رؤوسنا لن يكونوا مسئولين ... سيكون الدين هو الذى يدين المتمردين بالخيانة والمروق والكفر...)

ومن جهته علق د. اكرم حجازى على ظهور تلك الشريحة من شيوخ السلطان وفتاويهم الشاذة فقال: (في ظل الحرب المستعرة على الإسلام نشطت نخبة من العلماء والمشايخ وعلى رأسهم رموز الإفتاء الرسمي وحتى من بعض الزعماء بتقديم فتاوى وتصريحات ذات طابع ديني أشبه ما تكون بالقانون العرفي غير آبهة بشرع ولا بمنطق

ولا بأخلاق، فلا سند لها ولا تأصيل شرعي ولا مبرر لإطلاقها إلا ما تستدعيه الاحتياجات الأمنية أو السياسية أو الأغراض الحزبية. والأخطر في هذا النوع من الفتاوى أنها تهم الشأن العام وليست ذات طابع فردي بحيث يمكن حصرها في واقعة معينة. بل إنها غدت، منذ فترة وجيزة، تتجاوز الشأن العام لتمس صميم العقيدة والتشريعات الإسلامية. ورغم أن غالبيتها الساحقة تصب في سياق الأطروحة الغربية للإسلام بلا أدنى مواربة إلا أن أصحابها لم يتراجعوا عنها قط بقدر ما برروا تصديرها بنفس الأسلوب الذي صدرت به. أي بلا سند شرعي.

لم ينكر الغرب أنه يبحث عن إسلام يلائمه، فإنْ لم يوجد فلا مانع من إيجاده. وبالتوازي مع هذه الأطروحة كانت مؤسسة راند وأمثالها تحشد من تراه مناسبا من العلماء والدعاة والمفكرين تحت بند «علماء مسلمين معتدلين» أو «أكثر الشخصيات تأثيرا في العالم». ومن العجيب أننا لم نجد من بين هؤلاء من يعترض على ورود اسمه في القائمة أو يتبرأ منها. بل إن أغلب هؤلاء قدموا للغرب إسلاما أشبه بما يكون في العرف الشعبي بـ «طبيخ النَّوَرْ»).

في كتابنا هذا سنعرض لنماذج رائعة من السلف الصالح حتى نكشف صريح منهج الخائنين، وأن السلف الصالح بريء منهم، فقد كان السلف يصدع بالحق والإنكار أمام حكام مسلمين، فما الحال الآن مع حكام أعداء للإسلام والمسلمين.

ولايخلو زماننا من علماء صدعوا بالحق وضحوا بالغال والنفيس في سبيل الله، وتعرضوا لظلم شديدومازالوا، ولكن منعاً للجدل حولهم الآن، وحتى لا يضيع نموذج الحق في مناوشات أهل الباطل، نقدم نماذج من العلماء المخلصين الصادقين الصادعين بالحق، القائمين برسالة الله وممن لايخشون لومة لائم، حتى يعلم الناس من هم العلماء، وما وظيفتهم الحقيقية، ويقارنوا بينهم وبين هؤلاء المنافقين، ويتعلم طلاب العلم من أهل الجدارة بأن يكونوا نموذجاً وقدوة حسنة للسائرين في طريقالعلم والحق.

ومصدرنا أساسه كتاب «البداية والنهاية»، و«سير اعلام النبلاء»، وبعض المراجع الصغيرة، والله الموفق وعليه التكلان.

* * *

التابعي الجليل سعيد بن جبير

يقول الشيخ عبد العزيز الطريفي - فك الله أسره - في حديثه عن العلماء والميثاق: (ومن أعظم ما يقوم به الإنسان العالم في هذه الأرض أن يصدع بأمر الله وأن يقول لصاحب الباطل أخطأت، ولصاحب الحق والخير أصبت، ولذلك جعل الله مناط الخيرية بهم، قال تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

ويقول في موضع آخر: (لذلك من أعظم ما ينبغي لأهل العلم والمعرفة وطلاب العلم أن يصونوا العلم ليصونهم، فلا يطلبوا به حظوةً ولا يطلبوا به مدحاً ولا يخافوا به ذماً، فإن ترقبوا شيئاً من ذلك أسقطهم الله بسيئ عملهم، ومن صان العلم من أهل العلم صانهم ورفعهم، ومن لم يصن العلم لم يصنهم الله، ولذلك يقول الفضيل: لو أن أهل العلم شحوا على دينهم، وأكرموا العلم وصانوه، وأنزلوه حيث أنزله الله، لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس، ولو اشتغلوا بما يعنيهم لَعَزَّ الإسلامُ وأهلهُ، لكنهم استذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم، وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا ما في أيديهم، فذلوا وهانوا على الناس).

إنه الإمام التابعي الجليل سعيد بن جبير ﵀ من عبق صحابة رسول الله ﷺ تنسم العلم والفقه والحديث، شهيد كلمة الحق ورفض الظلم، قصتة عظيمة فيها عبرة لمن يعتبر.

رفض ظلم الحجاج فخرج عليه مع عبد الرحمن بن الأشعث رافضاً ظلمه، ولم يكن الحجاج مبدلاً لشرع الله، ولا موالياً لليهود والنصارى، ولا مفرطاً في أراضي المسلمين، ولا تابعاً للصليبين في البيت الأبيض، بل كان تابعاً لخليفة في خلافة إسلامية تجاهد في سبيل الله، انتصرت وحققت فتوحات كثيرة، وهزمت أعداء الله ونشرت العلم وأقامت دولة للإسلام.

ولكن الحجاج كان ظالماً مجرماً قاتلاً أسرف في ظلم الأبرياء وسفك الدماء المعصومة بغير حق، وكان هذا كافياً العالم التابعي الجليل سعيد بن جبير ليخرج على الحجاج ويرفض ظلمه، فهذه مهمة العالم الرباني، أن يقوم لله بكلمة الحق أمام الطغاة والظالمين، (**بعض المنافقين والمحرفين لكلام الله يستدلون بالحجاج، وماحدث من سكوت بعض العلماء عنه، على وجوب السكوت على حكام اليوم الطغاة، والفرق كما بين السماء والأرض، فالحجاج قاتل نعم، ولكنه كان يجاهد أعداء الإسلام، وحكام اليوم يقاتلون أبناء الإسلام ويوالون أعدائه**).

إنه الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، الكوفي، سعيد بن جبير الأسدي تابعي، كان

تقياً وعالماً بالدين، درس العلم عن عبد الله بن عباس حبر الأمة وعن عبد الله بن عمر وعن السيدة عائشة أم المؤمنين في المدينة المنورة، روى له البخاري ومسلم وأبو دواد والترمذي وابن ماجة.

وعندما انهزم عبد الرحمن بن الأشعث ومن معه أمام الحجاج لم يتراجع سعيد أمام قوة عسكر ودبابات الحجاج، ولم يسارع بتقديم الولاء للحجاج تحقيقاً للمصلحة ودرءاً للمفسدة، ولم يظهر في مؤتمر يُطالب الناس بتأييد الحجاج، ويصرخ في الناس أن لا يتحرّجوا من تأييد السفاح، ولم يقل للناس إن الحجاج له نهضة وفتوحات!، لم يفعل؛ لأن رسالته هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس الأمر بالنفاق والنهي عن الثبات.

اختبأ سعيد بن جبير عشرة سنوات في مكة يتعبد إلى الله ويُعلّم أصحابه سرًا، حتى تم القبض عليه وقيّدوه وذهبوا به للحجاج، فعلم أنه ميّت فاستعد لذلك بالعبادة وسهر الليل في القيام والدعاء، حتى وقف بين يدي الحجاج ودار هذا الحوار الذي سجّله التاريخ.

فقال: ما اسمك؟ **(تحقيقات أمن الدولة)**

قال: سعيد بن جبير؟

قال: أنت شقي بن كسير.

قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك.

قال: شقيت أنت وشقيت أمك.

قال: الغيب يعلمه غيرك.

قال: لأبدلنّك بالدنيا نار تلظى.

قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً.

(ثبات وقوة في الحق رغم أنه يعلم أحكام الإكراه، ولكنه العالم الرباني الذي لا يترخص بل يثبت حتى يكون منارة لغيره).

قال: فما قولك في محمد ﷺ؟

قال: نبي الرحمة إمام الهدى.

قال: فما قولك في علي في الجنة هو أم في النار؟

قال: لو دخلتها فرأيت أهلها عرفت.

قال: فما قولك في الخلفاء؟

قال: لست عليهم بوكيل.

قال: فأيهم أعجب إليك؟

قال: أرضاهم لخالقي.

قال: فأيهم أرضى للخالق.

قال: علم ذلك عنده.

قال: أبيت أن تصدقني.

قال: إني لم أحب أن أكذبك.

قال: فما بالك لم تضحك.

قال: وكيف يضحك مخلوق خُلق من الطين، والطين تأكله النار؟

قال: فما بالنا نضحك؟

قال: لم تستو القلوب.

قال: ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وجمعه بن يدي سعيد. **(عرض الفتن والمناصب والهدايا)**.

فقال: إن كنت جمعته لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعةٌ واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جُمع للدنيا إلا ما طاب وزكا.

ثم دعا الحجاج بالعود والناي فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى. **(محاولة فتنته بالشهوات)**.

فقال الحجاج: ما يبكيك، هو اللهو؟

قال: بل هو الحزن، أما النفخ فذكرني يوم نفخ الصور، وأما العود فشجرة قطعت من غير حق، وأما الأوتار فأمعاء شاة يبعث بها معك يوم القيامة.

فقال الحجاج: ويلك يا سعيد!

قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

قال: اختر أي قتلة تريد أن أقتلك؟

قال: اختر لنفسك يا حجاج فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلتُك قتلة في الآخرة؟

قال: فتريد أن أعفو عنك؟

(عرض المراجعة والتوبة عن كلمة الحق مقابل عفو الظالم، وكان الحجاج مشهورا عنه أنه من يتراجع عن قوله أمامه ويكفر به يصفح عنه، ولكن سعيد لم يفعل، لأنها أمانة الله ثم رسول الله، فاصدع بما تؤمر).

قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر؟

قال: اذهبوا به فاقتلوه.

فلما خرج من الباب ضحك فأُخبر الحجاج بذلك فأمر برده.

فقال: ما أضحكك؟

قال: عجبت من جرأتك على الله، وحلمه عنك. فأمر بالنطع فبُسط.

قال: اقتلوه.

فقال: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩]

قال: شدوا به لغير القبلة.

قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ﴾ [البقرة: ١١٥]

قال: اكفوا وجهه للأرض.

قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]

قال: اذبحوه.

قال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده رسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة،

ثم دعا الله سعيدٌ وقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي، فذُبح على النطع.

كان قتل سعيد بن جبير سَنة أربع وتسعين وكان يومئذ ابن تسع وأربعين سنة، قال عنه الإمامُ أحمد بن حنبل: لقد قتل سعيد بن جبير، وما على الأرض أحد إلا ومحتاج إلى علمه.

فلم يمضِ على مصرع سعيد بن جبير غير خمسة عشر يوماً، حتى حُمَّ الحجاج، واشتدت عليه وطأةُ المرض، فكان يغفو ساعة ويفيق أخرى، فإذا غفا غفوة، استيقظ مذعوراً، وهو يصيح: هذا سعيد بن جبير آخذٌ بخناقي، هذا سعيد بن جبير، يقول: فيمَ قتلتني؟ ثم يبكي، ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير، رُدّوا عني سعيد بن جبير.

فلما قضى نحبه، ووُرِي في ترابه، رآه بعضهم في الحلم، فقال له: ما فعل الله بك فيمن قتلتهم يا حجاج؟ قال: قتلني الله بكل امرئ قتلة واحدة، وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]

وأخيرًا، ظللت أبحث، فلم أجد في كتب التاريخ والعلم التي اطلعت عليها، ولو في كتاب واحد فقط عالمًا من السلف الصالح ينتقد موقف سعيد بن جبير، واليوم يخرج السفهاء المضلون اللابسون ثياب العلم زوراً يمجدون في الظالمين والطغاة، ولا يستحيون، ويعدون خيانة أمانة كلمة الحق فقهًا وذكاء! كأنهم يقولون إن إمام الفقهاء والتابعين سعيد بن جبير لم يكن فقهيًا ولا ذكيًا، وإنهم أدركوا فقهًا لم يدركه!! ألا شاهت وجوه الخونة في كل زمان ومكان!

وبعض منافق الحكام اليوم يشككون فى تفاصيل حوار سعيد ابن جبير مع الحجاج كى يضللوا الناس حتى لايواجهوا الحكام الظلمة بكلمة حق والثابت أن الحجاج قتل ابن جبير بسبب إنكاره لظلم الحجاج وذكر ذلك ابن كثير فى البداية والنهاية وتاريخ الطبري وطبقات ابن سعد.

* * *

الإمام أحمد بن حنبل

عندما نتكلم عن العلماء الصادعين بالحق فأول من يتبادر إلى أذهاننا هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فلنتوقف مع ما قاله الأديب الرافعي لنعرف قيمة العالم الصادع بالحق وكيف أن هذا العالم من ورثة الأنبياء.

قال الأديب مصطفى صادق الرافعي في كتابه وحي القلم:

(كنت لاأزال أعجب من صبر الإمام أحمد بن حنبل، وقد ضرب بالسياط حتى غشي عليه، فلم يتحول عن رأيه، فعلمت الآن أنه لم يجعل في نفسه للضرب معنى الضرب، ولا عرف للصبر معنى الصبر الآدمي، ولكنه وضع في نفسه معنى ثبات السنة وبقاء الدين، وأنه هو الأمة كلها لا أحمد بن حنبل، فلو تحول لتحول الناس ولو ابتدع لابتدعوا، فكان صبره صبر أمة كاملة، لا صبر فرد.

وكان يضرب بالسياط ونفسه فوق معنى الضرب، إذ لم يكن جسمه إلا ثوبا عليه، وكان الرجل هو الفكرة ليس غير.

هؤلاء قوم لا يرون فضائلهم فضائل، ولكنهم يرونها أمانات قد ائتمنوا عليها من الله؛ لكي تبقى بهم معانيها في هذه الدنيا، فهم يزرعون في الأمم زرعاً بيد الله، ولا يملك الزرع غير طبيعته، وما كان هذا الذي يريد الإمام على غير رأيه وعقيدته إلا كالأحمق يقول لشجرة التفاح: أثمري غير التفاح). انتهي

التاريخ كتب أنه الإمام الذي قدر الله على يديه أن يقف موقفاً شجاعاً فريداً يحمي العقيدة والدين، وتحمل تكاليف ذلك الموقف بكل شجاعة وصبر وإيمان، في وقت التحف فيه كثير من العلماء الكبار بالرخصة هرباً من تكاليف الموقف، ولأن حياته وعلمه وسيرته كلها نبراس يضيء للسائرين.

وإذا كنا نعرج على جزء من سيرته رغم أن الكتاب لمواقف العلماء مع الحكام، فلأن سيرته أيضاً فيها هداية وقدوة لكثير ممن لبسوا ملابس العلماء وتكلموا بألسنتهم، ولكن سيرتهم كانت في واد آخر، ومخالفة لسيرة العلماء الربانيين فجاءت مواقفهم مخالفة لمواقف العلماء الربانيين.

وأيضاً حتى نعطي قدوة لبيوت المسلمين كيف تخرج لنا عالمًا ربانيًا يقود الأمة ويبلغ رسالات الله بكل قوة وتبيان، ولايخشى في الله لومة لائم، فموقف وشجاعة الإمام أحمد بن حنبل لم يأت من فراغ.

فتعالوا بنا نعرف كيف ظهرت نبتة أحمد بن حنبل وكيف تمت رعايتها، وكيف أخرجت ثمار قدوة للأمة المسلمة.

* * *

تعريف بالإمام

ولد الإمام أحمد بن حنبل ﵀ في آخر القرن الثاني للهجرة، وعاش في بيت فقير، مات أبوه وهو طفل، فتكفَّلت به أمه الزاهدة العابدة الصائمة وهي صاحبة دور كبير في حياة الإمام أحمد.

يقول الإمام أحمد ﵀: (حفَّظَتني أمي القرآن وعمري عشر سنوات، وكانت أمي تلبسني اللباس، وتوقظني، وتحمِّي لي الماء قبل صلاة الفجر، وأنا ابن عشر سنوات، وكانت تختمر وتتغطى بحجابها وتذهب معه إلى المسجد؛ لأن المسجد بعيد، ولأن الطريق مظلمة).

فلنتدبر فعل المرأة الصالحة ورعايتها وتوجيهها لابنها كي يكون عبدا لله صالحاً فلم توجهه للعب، ولا تركته ينام لأنه طفل يتيم، بل تختمر وتخرج لصلاة الفجر معه.. الله الله.

ويقول الإمام: (فلما بلغتُ السادسة عشرة من عمري، قالت لي أمي: اذهب في طلب الحديث، سافر فإن السفر في طلب الحديث هجرة إلى الله الواحد الأحد). **وهنا وقفة ماذا اعطته لسفره وهم فقراء.. توقف وتدبر!**

صنعت له ما يقارب عشرة من أرغفة الشعير، عشرة من الأقراص اليابسة، ووضعتها في جراب من قماش وأعطته إياه ووضعت معه صُرَّة ملح وقالت: (يا بني إن الله إذا استودع شيئاً لا يضيعه أبداً، أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه).

الله أكبر ما أعظم الإيمان والتوكل على الله!

فذهب من عندها من بغداد، وكانت وقتها عاصمة الدنيا وأين ذهب الإمام؟ لم يذهب للسياحة واللعب وهو فتى في بداية فحولة شبابه، بل ذهب يقطع الصحاري والفيافي، وزاده عشرة أرغف وصرة ملح ليطلب علم حديث رسول الله ﷺ.

سافر الإمام - رضي الله عنه وأرضاه - وهنا يقول: (مضيتُ من بغداد إلى مكة، فضِعْتُ في الطريق ثلاث مرات).

يا الله فماذا فعل؟ وليس معه بوصلة، ولا جي بي إس، ولا دليل!

يقول الإمام: (فكنت كلما ضِعتُ استغفرت الله ودعوته، وقلت: يا دليل الحائرين دلّني، قال: فوالله ما أنتهي من كلامي إلا ويدلني دليلُ الحائرين على الطريق). **دليل الحائرين؟ إنه الله الخالق البارئ رب السماوات والأرض والإنس والجن**. تاه في الطريق الإمام أحمد، ولكن الله لم يضيعه، هداه إلى الطريق؛ لأنه توجه إليه بالدعاء، واحفظ الله يحفظك، فلما حفظ الله، حفظه الله في طريقه.

وصل الإمام إلى مكة، فأخذ حديث مكة، وبعدها سافر إلى اليمن، إلى صنعاء اليمن إلى عبدالرزاق بن همام الصنعاني يطلب الحديث، وبينما هو في طريقه، ضاع مرة رابعة، قال: (وانتهت نفقتي من الخبز، أما الدراهم فما كان عندي دراهم، فماذا فعل؟ قال: نزلت إلى قوم أهل مزارع يحصدون ويصرمون، فأجَّرت منهم نفسي ثلاثة أيام).

قال عنه الذهبي وابن كثير حفظ ألف ألف حديث أي مليون حديث سبحان الله! إمام الأئمة، الذي يحفظ ألف ألف حديث، كما يقول الذهبي وابن كثير، يحفظ مليون حديث، ومع ذلك يؤجر نفسه من الحصَّادين، فيحصدُ معهم، ووصل بحفظ الله إلى صنعاء، وأخذ الأحاديث النبوية، وكتبها، كان يسهر الليل حتى الفجر، ويصوم النهار حتى الغروب.

وصل إلى صنعاء، فقُدِّم له جوائز من السلطان ومن الأغنياء، فرفض وأبى، وقال: أعمل بيدي، فاشتغل في بعض الصناعات بيده، حتى أعطاه الله بعض الأسباب، وبعض النقود، ثم عاد إلى بغداد.

فعَلَّمَ الله الإمام أحمد فحفظ ألف ألف حديث مع القرآن، مليون حديث يستحضرها متى شاء، وقد كتب (المسند) من حفظه، أربعين ألف حديث، أكبر مسند في الدنيا، هو بين أيدينا ولكن مَنْ يقرأ (المسند)؟ ويعرف قيمته من شباب الأمة الآن.

أفتى الإمام أحمد في ستين ألف مسألة، وكان حجته فيها: قال الله، وقال رسول الله ﷺ الكتاب والسنة وقد ذم الإمام المنطق، وذمَّ الرأي، وذمَّ الفلسفة والجدل، وقال رحمه الله: (نحن قوم مساكين لم يأمرنا الله عز وجل بذلك).

* * *

محنة الإمام

بعدما ذكرنا عن الإمام أحمد بعض صفاته وورعه وتقواه وعلمه وشخصيته العظيمة نتوقف مع التاريخ حيث توقف، وكانت أنفاسه تلهث وهو يشاهد هذا الموقف العظيم، إنها المحنةوالابتلاء والتعذيب والسجن والصدع بالحق والثبات في المحنة.

في عام (٢١٨ هـ) في عهد الخليفة العباسي المأمون الذي اقتنع ببدعة المعتزلة، وسولت له نفسه ومشورة المبتدعة فرضه على الناس، ومن بدعته أن القران مخلوق.

فأمر المأمون نائبه في بغداد ابا إسحق أن يجمع العلماء والشيوخ ويعرض عليهم رسالة المأمون التي تتضمن الموافقةعلى بدعته بخلق القرآن، فحدث، وخاف البعض فأجاب مكرها.

ويقول ابن كثير: (ولما انتهت النوبة إلى امتحان أحمد بن حنبل، فقال له: أتقول إن القرآن مخلوق؟).

وهنا نتوقف فالموقف صعب جدًا، فالمعروف عن أحمد بن حنبل أنه يتميز بالحياء الشديد والورع واللين، وكثير من أقرانه من العلماء ترخصوا بالإكراه، والرسالة من الخليفة فماذا كان جواب إمام أحمد - .
فتعالوا بنا نشاهد الموقف:

فقال أحمد بن حنبل بكل ثقة وشجاعة: (**القرآن كلام الله لا أزيد على هذا**).

فقال له ابو اسحاق بخبث: ما تقول في هذه الرقعة؟

فقال: أحمد بثبات العالم الرباني أقول:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]

فوسوس الشيطان لرجل من المعتزلة فقال صائحا: إنه يقول سميع بإذن بصير بعين.

فقال له أبو إسحاق: ما أردت بقولك سميع بصير؟

فقال أحمد بكل شجاعة وهدوء وثبات: (**أردت منها ما أراده الله منها، وهو كما وصف نفسه ولا أزيد على ذلك**).

فكتب أبو اسحق جوابات القوم رجلاً رجلاً وبعث بها إلى المأمون.

وأمر المأمون نائبه أن يمتحنهم مرة ثانية أيضا، فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس، ومن لم يجب منهم فابعثه إلى عسكر أمير المؤمنين مقيدًا، محتفظاً به حتى يصل إلى أمير المؤمنين فيرى فيه رأيه، ومن رأيه أن يضرب عنق من لم يقل بقوله.

فعند ذلك عقد النائب ببغداد مجلساً آخر، فلما امتحنهم إسحاق أجابوا كلهم مكرهين متأولين قوله تعالى:

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦]

إلَّا أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، كانا من الثابتين على الحق الرافضين للقول ببدعة خلق القرآن، وأخرَّ أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح الجند سابوري لأنهما أصرا على الامتناع من القول بذلك، فأكد قيودهما وجمعهما في الحديد وبعث بهما إلى الخليفة وهو بطرسوس، وكتب كتاباً بإرسالهما إليه، فسارا مقيدين على جمل متعادلين رضي الله عنهما.

وجعل الإمام أحمد يدعو الله عز وجل ألا يجمع بينهما وبين المأمون، وأن لا يرياه ولا يراهما.

ونتوقف هنا ويتوقف التاريخ، فالإمام الذي يجتمع لدرسه الآلاف ويشار له بالبنان، مقيد في حديد على جمل يسافر به من بغداد إلى طرسوس، في جو الصحراء الخانق لاسيارة ولاطيارة ولا تكييف ولا اتباع ولا راحة في سفره، فهل فكر الإمام مجرد تفكير أن يتراجع أو يتكلم بالتقية أو يترخص، أبدا والله، فالتاريخ كتب وهو مندهش من ثبات الإمام أنه كان ثابتاً كالجبال الرواسي هو وصاحبه بن نوح، ولم يتزحزح أو يضطرب عندما مات ابن نوح في رحلته وكان دعاء الإمام أحمد ألا يجمعه بالخليفة فتقبل الله دعائه.

أهلك الله الخليفة ومات قبل وصولهما إليه، واستجاب الله سبحانه دعاء عبده الإمام أحمد بن حنبل، فلم يريا المأمون ولا رآهما، بل ردوا إلى بغداد.

وهنا نتوقف مرة ثانية، فالبلاء والفتنة حاضران ولكن ما أعظم ثبات الإمام، وقد رجع إلى بغداد في قيوده وهو ثابت أمام حالة التراجع التي انتابت الكثير من العلماء، وإجابتهم مكرهين على خلق القرآن، وكان منهم أئمة مثل يحيى بن معين، وأمام حالة التهديد بالبطش من الخليفةوكلتا الحالتين تؤثر في النفس، خاصة أن الخليفة كان يجاهد في سبيل الله ويعادي أعداء الإسلام، ويقيم الشرع ولكن طرأ على فكره بدعة يريد الزام الناس بها، ولكن الإمام أحمد يثبت ولايتزعزع، وكثير من الدعاة ومن ينتسبون للعلم اليوم يجيبون الحاكم لما يريد من ظلم وطغيان وتبديل لشرع الله نفاقاً وطمعاً في عطاياه، ومنهم من يسارع في نفاقه من غير أدنى إكراه.

ننتقل إلى الجزء الثاني من محنة الإمام أحمد بن حنبل مع الخليفة المعتصم (الذي تذكر كتب التاريخ القصة المشهورة عن المرأة المسلمة الأسيرة التي قالت وامعتصماه، فلبى المعتصم وقاد الجيوش وفتح عمورية).

أمر المعتصم بإحضار الإمام أحمد في مجلسه ليحاكمه، وتروي كتب التاريخ أنه كان يوماً مشهوداً فقد ازدحم الناس على بابه كيوم العيد، وبُسِطَ بمجلسه بساطاً، ونُصِبَ كرسياً جلس عليه، ثم قال: أحضروا أحمد بن حنبل، فأحضروه، فلمَّا وقف بين يديه سَلَّمَ عليه، فقال له: يا أحمد تكلم ولا تَخَفْ، فقال الإمام أحمد: والله لقد دخلتُ عليك وما في قلبي مثقال حبَّةٍ من الفزع. (إنه ثبات الربانيين).

قال له المعتصم: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله قديم غير مخلوق، قال الله تعالى:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦]

فقال له: عندك حجة غير هذا؟ فقال: نعم، قول الله تعال:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢]

ولم يقل: الرحمن خلق القرآن، وقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١-٢]

ولم يقل: يس والقرآن المخلوق، فقال المعتصم: احبسوه، فحُبِسَ وتفرَّقَ الناس.

(نتوقف هنا فالإمام - رحمه ورضي عنه - لم يتوقف علمه أن جعله في درس أو في موقع أو على صفحات الفيس أو في فيديوهات، بل جهر به وبالحق أمام السلطة الحاكمة التي تريد تطويع العلم لبدعتها، فرفض وأعلن الرسالة ولم يرهبه سيوف السلطة ولاسجنها، ولاهيبة الحاكم ولاسلطانه، بل توقف فقط مع هيبة الله عزوجل، فلم يخش لومة لائم).

فلمَّا كان مِنَ الغد جلس المعتصم مجلسه على كرسيه، وقال: هاتوا أحمد بن حنبل، فاجتمع الناس، وسُمعت لهم ضجة في بغداد، فلمَّا

جيء به وقف بين يديه والسيوف قد جُردت، والرماح قد ركزت، والأتراس قد نُصبت، والسياط قد طرحت، فسأله المعتصم عمَّا يقول في القرآن؟ قال: أقول: غير مخلوق.

وأحضر المعتصم له الفقهاء والقضاة فناظروه بحضرته في مدة ثلاثة أيام، وهو يناظرهم ويظهر عليهم بالحُجج القاطعة، ويقول: أنا رجل عَلِمتُ علماً ولم أعلم فيه بهذا، أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى أقول به، وكلما ناظروه وألزموه القول بخلق القرآن يقول لهم: كيف أقول ما لم يُقل؟ فقال المعتصم: قهرنا أحمد (الله أكبر).

وكان من المتعصبين عليه محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم، وأحمد بن دُؤاد القاضي، وبشر المريسي، وكانوا معتزلة قالوا بخلق القرآن، فقال ابن دُؤاد وبشر للخليفة: اقتله حتى نستريح منه، هذا كافر مُضِل، فقال: إني عاهدتُ الله ألا أقتله بسيف ولا آمر بقتله بسيف، فقالا له: اضربه بالسياط، فقال المعتصم له: وقرابتي من رسول الله ﷺ لأضربنَّك بالسياط أو تقول كما أقول. (فلم يهتز أحمد ولم يتراجع، وبعض العلماء الآن ينافق من غير ضرب ولا سياط).

فقال المعتصم: أحضروا الجلادين، فقال المعتصم لواحد منهم: بكم سوط تقتله؟ قال: بعشرة، قال: خذه إليك، فأُخْرِجَ الإمام أحمد من أثوابه، وشُدَّ في يديه حبلان جديدان، ولمَّا جيء بالسياط فنظر إليها المعتصم قال: ائتوني بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا، فلمَّا ضُرِبَ سوطاً،

قال: بسم الله، فلمَّا ضُرِبَ الثاني قال: لا حول ولا قوةً إلاَّ بالله، فلمَّا ضُرِبَ الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلمَّا ضُرِبَ الرابع قال:

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٥١].

(ما أعظم ثباتك يا إمام فقد سجل التاريخ بأحرف من نور كلماتك وثباتك وكنت نوراً هادياً للمسلمين بصدعك بالحق).

وجعل الرجل يتقدَّم إلى الإمام أحمد فيضربه سوطين، فيحرضه المعتصم على التشديد في الضرب، ثم يتنحَّى، ثم يتقدَّم الآخر فيضربه سوطين، فلمَّا ضُرِبَ تسعة عشر سوطاً ولم يتراجع الإمام أحمد قيد أنملة، حتى قام إليه المعتصم فقال له: يا أحمد علام تقتل نفسك؟ إني والله عليك لشفيق.

وأثناء كلام المعتصم كان حارسه عجيف ينخس الإمام بسيفه فلم يرد أحمد على هذا الترغيب وسط الترهيب وإنه لصعب على عمالقة الرجال ولكنه الإمام أحمد، ثم غضب المعتصم وقال: تريد أنْ تغلب هؤلاء كلهم؟ وتداخل شياطين البدعة، وجعل بعضهم يقول: ويلك! الخليفة على رأسك قائم، وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين دمه في عنقي اقتله، وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين: إنه صائم وأنت في الشمس قائم، فقال المعتصم صائحا: ويحك يا أحمد ما تقول؟فيقول الإمام بكل ثبات: أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى أقول به.

(إنها مدرسة الثبات على القران والسنة من غير تحريف، ولا تبديل،

ولاتبرير، بدليل شرع المصلحة، أو المعاصرة والواقع).

ثم رجع الخليفة فجلس ثم قال للجلاد: تقدمَّ، وحَرَّضه على إيجاعه بالضرب، قال أحد الجلادين بعد أن تاب: لقد ضربت الإمام أحمدثمانين جلدة، لو ضربتُها في فيل لسقط.

قال الإمام أحمد: فذهب عقلي، فأفقت بعد ذلك، فإذا الأقياد قد أُطلِقت عنِّي، فأتوني بسويق فقالوا لي: اشرب وتقيأ، فقلت: لستُ أُفطر، ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرتُ صلاة الظهر، فتقدَّم ابن سماعة فصلى، فلمَّا انفتل من الصلاة قال لي: صليتَ والدمُ يسيل في ثوبك، فقلت له: قد صلَّى عمر ـ رضي الله عنه ـ وجرحه يسيل دماً.

واشتد يأس المعتصم من الإمام أحمد وخشي أن يموت في حضرته فيثور الناس فأطلقه وحمله أهله إلى بيته يتداوى.

ولَمَّا ولِّيَ الواثق بعد المعتصم وكانت سطوته أشد في فتنة خلق القرآن، ولكن رهبته من الإمام كانت أشد فلم يتعرض للإمام أحمد بن حنبل في شيء إلاَّ أنَّه بعث إليه يقول: لا تساكنِّي بأرض، وقيل: أمره أنْ لا يخرج من بيته، فصار الإمام أحمد يختفي في الأماكن، ثم صار إلى منزله فاختفى فيه عدة أشهر إلى أنْ مات الواثق.

وبعد ذلك تولَّى الخلافة المتوكل بعد الواثق، وقد خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد، وطعن عليهم فيما كانوا

يقولونه من خلق القرآن، ونهى عن الجدال والمناظرة في الأداء في خلق القر/ ، وعاقب عليه، وأمر بإظهار الرواية للحديث، فأظهر الله به السُنَّة، وأمات به البدعة، وكشف عن الخلق تلك الغُمَّة، وأنار به تلك الظُلمة، وأطلق من كان اعتُقِلَ بسبب القول بخلق القرآن، ورفع المحنة عن الناس.

أتوقف مع رؤيا وقصة يرويها عبدالله بن أحمد بن حنبل، ذكرها ابن كثير، فقال روى البيهقي عن الربيع، قال: (بعثني الشافعيُّ بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل فأتيتهُ، وقد انفتل من صلاة الفجر، فدفعتُ إليه الكتاب، فقال أقرأته؟ فقلتُ: لا. فأخذه، فقرأه، فدمعت عيناه، فقلت: يا أبا عبد الله، وما فيه؟ يقال: يذكر أنَّه رأى رسول الله ﷺ في المنام، فقال: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، واقرأ عليه مني السَّلام، وقل له إنَّك ستُمْتَحن وتُدْعى إلى القول بخَلْق القرآن فلا تُجبهم، يرفع الله لك عَلَماً إلى يوم القيامة). **(الله أكبر، ما أعظمها رؤيا وبشرى ومكانه للإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل)**.

ننتقل مرة أخرى للمشهد الثاني وقد اشتدت المحنة، وتم القبض على الإمام وسجنه وامتحانه ويرويها ابنه عبد الله بن أحمد بن حنبل.

فيقول: كثيراً ما كنتُ أسمع أبي يقول: (اللهم اغفر لأبي الهيثم، فقلتُ له: ومَنْ أبو الهيثم يا أبت؟ فقال: رجلٌ من الأعراب لَم أرَ وجهه، ففي الليلة التي سبقت جَلْدي وضعوني في زنزانة مظلمة فوكزني رجلٌ،

وقال: أأنتَ أحمد بن حنبل؟، قلتُ: أجل، قال: أتعرفني؟ قلت: لا، فقال: أنا أبو الهيثم اللص، شارب الخمر، قاطع الطريق، مكتوبٌ في ديوان أمير المؤمنين أني جُلدت ١٨ ألف جلدة متفرقة، وقد احتملتُ كل هذا في سبيل الشيطان، فاصبر أنتَ في سبيل الله يا أحمد!

فلما أوثقوني وبدأ الجَلْد كنتُ كلما نزل السوط على ظهري تذكرتُ كلام أبي الهيثم وقلتُ في نفسي: اصبر في سبيل الله يا أحمد، إن لم تكن ابن حنبل فكن أبا الهيثم)!

وصبر الإمام وثبته الله، والسبب نصيحة من مجرم، ولكنها كانت حق وخالصة لله، المجرمون يثبتون على جرمهم ويتحملون العذاب والسجن والابتلاء في سبيل الشيطان، فأولى بالمسلمين الصالحين أن يتحملوا في سبيل الله، قل لهم يا أبا الهيثم: (اصبر في سبيل الله يا أحمد)، وكل أحمد يصبر في سبيل الله، والله المستعان.

ونتوقف وقفة مهمة مع أمنيته التي ضج بالبكاء لعدم تحقيقها، كان يتمنى الإمام أكبر أمنية في حياته، أن يتقدم الصفوف مجاهداً في سبيل الله، نظر إلى قدميه وقت الوفاة وبكى، وقال: يا ليتها جاهدت في سبيل الله ياليتها جاهدت في سبيل الله، ويبكي - رضى الله عنه - لكن الجهاد وقتها فرض كفاية، والإمام والله جاهد في فرض العين جهاداً من أعظم الجهاد، بعلمه، وبذله ونفسه وتضحيته وصبره فكان إمام الدنيا بحق.

قال يحيى بن معين رحمه الله: **(والله ما رأيت أحداً كأحمد بن حنبل، والله ما أستطيع أن أكون مثله ثلاثة أيام)**.

وقال علي بن المديني رحمه الله: **(لو كان الإمام أحمد في بني إسرائيل كان نبياً من الأنبياء)**.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: **(خرجتُ من بغداد وسكانها ألفا ألفٍ - يعني مليونين اثنين - فوالله ما خلّفتُ رجلاً أتقى لله وأعلم بالله وأزهد لله وأورع أن تنتهك محارم الله، ولا أحب إليَّ من أحمد بن حنبل)**.

توفي الإمام أحمد - رحمه الله ورضي الله عنه - في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين هجريا.

وقد قدر عدد الذين صلوا عليه وشيعوه إلى قبره بألف ألف، وفي رواية وسبعمائة ألف، أي مليون وسبعمائة ألف.

❊ ❊ ❊

الإمام أحمد بن نصر الخزاعي

قال ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**» [رواه الحاكم وصححه الألباني].

ويقول ﷺ: «**ألا لا يمنعن أحدَكم هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده،** – علمه أو سمعه – **فإنه لا يقرب من أجل، ولا يباعد من رزق، أو يقول بحق، أو يذكر بعظيم**» [كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لابن أبي الدنيا].

نتوقف الآن مع قصة عالم كان يتمتع بالثراء والمكانة والعلم، ولكن كل ذلك لم يمنعه أن يصدع بالحق ويقاوم المنكر، بل ويثبت على البلاء وعلى القتل في سبيل الله، إنه الإمام أحمد بن نصر الخزاعي شهيد كلمة الحق(* **شهيد القرآن** *)، الذي انتقم الله عز وجل له من الظالمين الذين شاركوا في قتله.

قصة فيها دروس وعبر للشيوخ جميعا، وعلى الأخص المنافقين أصحاب التزلف والمحاباة للحكام، والذين يحرفون الكلم عن مواضعه تحقيقا لأصنام المصلحة والمعاصرة والفتنة ودرء المفاسد، فقد حطمها أحمد بن نصر الخزاعي في موقف وقصة ليست للتسلية ولكن للعظة والعلم والعمل والاتباع والثبات، ورؤية نهايات

الصالح والظالم في زمن نافق وتزلف العلماء، وباعوا دينهم لحكام خونة أضاعوا الدنيا والدين.

ها قد عرفنا ثبات الإمام أحمد بن حنبل ﵀ في فتنة خلق القرآن لكن قليل من يعرف الإمام أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ﵀ كان من علماء زمانه في عهد الخليفة العباسي الواثق، وعائلته ذات وجاهة ورياسة ومكانة وثراء، واشتهر أحمد بن نصر بالعلم والقوة في الدين والحق والعمل الصالح والاجتهاد في الخير، وكان من أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

وكان الخليفة العباسي الواثق من أشد الناس في القول بخلق القرآن، يدعو إليه ليلا ونهارا، سراً وجهارا، اعتماداً على ما كان عليه أبوه المعتصم وعمه المأمون، من غير دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان، ولا سنة ولا قرآن، والمصيبة الأشد أنه كان يكره الناس بالقوة على بدعته وهي فتنة كبيرة فمن لها.

هنا وقف الإمام أحمد بن نصر يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يهتم في رفضه البدعة أن الخليفة القرشي أمير المؤمنين، والسمع والطاعة له واجبة، وهو يجاهد ولايوالي اليهود ولاالصليبين، ويقيم الحدود

والشريعة ووجب السكوت منعا للفتنة، ولم ينشغل أن عائلته كانت تعده لمنصب الوزارة فيترقب المنصب.

فقد كان الإمام أحمد بن نصر يرى أن السكوت على الباطل هو الفتنة، وأن الجهر بالحق ومعارضة الخليفة هو المصلحة الواجبة لمنع المفسدة في العقيدة والدين، فاجتمع على دعوته جماعة من أهل بغداد، والتف عليه الألوف أعداد.

واتفق مع الإمام أحمد بن نصر للدعوة للحق رجلان وهما أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقي، وآخر يقال له طالب يدعو أهل الجانب الغربي، فاجتمع عليه من الخلائق ألوف كثيرة، فلما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخزاعي في السر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج على السلطان لبدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن، ولما عليه بعض وحاشيته من بعض المظالم. ولكن تسرب الخبر لنائب السلطان وقبضوا على الإمام أحمد بن نصر وبعض أعوانه، وتم إحضاره لمجلس الخليفة الواثق، وأحضروا له جماعة من الأعيان شهود، وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي والعسكر بالسلاح حوله.

فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الواثق أراد الواثق أن يستميله فلم يعاتبه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمربالمعروف والنهي عن المنكر وغيره، بل أعرض عن ذلك كله وفي حركة

تغريررهيبة تعصف بعقول الرجال وتلعب بهمتهم وتسقط من ثباتهم، فقد أسقط الخليفة كل التهم من قيادة تنظيم والخروج على ولي الأمر الحاكم الشرعي، وكلها عقوبتها الإعدام، معتقدا أن ذلك يجعل أحمد بن نصر لينا وسطيا يقدر المصلحة والتوافق، وجعل الخليفة كل اهتمامه فقط أن يأخذ من الإمام كلمة واحدة في خلق القرآن ويتركه لحال سبيله.

وكان الإمام يعلم ذلك، فكان ذلك الحوار الذي سجلته الملائكة للإمام أحمد بن نصر وسجله التاريخ، قال الواثق: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله، قال الواثق: أمخلوق هو؟، قال: هو كلام الله، **(وكان الإمام أحمدبن نصر قد تيقن أنه سيقتل وباع نفسه لله وارتدى كفنه وشد على عورته مايسترها)**.

فقال له الواثق: ما تقول في ربك، أتراه يوم القيامة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد جاء في القرآن والأخبار بذلك، قال تعالى:

﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣]

ونتوقف هنا، فإنه رغم إيمانه أنه خليفة وأمير المؤمنين، لكنه مؤمن أيضاً أن الحق فوق الجميع ويجب الجهر به، وقال الإمام أحمد الخزاعي للواثق أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته**» فنحن على الخبر.

قال الواثق: ويحك! أيُرى كما يرى المحدود المتجسم؟! ويحويه

مكان، ويحصر هالناظر؟! أنا أكفر برب هذه صفته.

وهنا لم يتردد الإمام ولم يتلعثم أو يفكر بالتراجع على أساس أن المعتزلة فرقة ويجب التوافق معهم، ولانكفرهم، فنقبل بهم من باب التنوع وحرية الرأي والرأي الآخر والتنوع، بل أجاب وتكلم بعقيدة أهل السنة بوضوح، وزاد فقال أحمد بن نصر للواثق وهو يستكمل الجهر بالأدلة، فقال: وحدثني سفيان بحديث يرفعه، أن «**قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله يقلبه كيف شاء**» وكان النبي ﷺ يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**».

وهنا يظهر مشهد للخسة والخيانة، عندما ينقلب الأصدقاء في مواقف الشدة، فقد انبرى أحد الجالسين واسمه إسحاق بن إبراهيم صائحا: ويحك! انظر ما تقول، والعجيب أنه قد كان صديقاً للإمام أحمد بن نصر، فقال أحمد بن نصر: أنت أمرتني بذلك، فأشفق إسحاق من ذلك، وقال: أنا أمرتك؟، قال: نعم أنت أمرتني أن أنصح له.

فقطع الواثق الكلام، وقال لمن حوله: ما تقولون في هذا الرجل؟ فأكثروا القول فيه، وهنا يحدث شيء عجيب يدل على تحول الأصدقاء وتخليهم عن الصداقة للقوة والسلطان، فلايتعجب الإنسان إذا ما تخلى عنه الصديق لموقف للحق، فقال عبد الرحمن بن إسحاق وكان قاضياً على الجانب الغربي فعزل، وكان صاحباً لأحمد بن نصر قبل ذلك: يا أمير المؤمنين هو حلال الدم! وقال أبو عبد الله الأرمني،

صاحب ابن أبي دؤاد: اسقني من دمه يا أمير المؤمنين، فقال الواثق: لا بد أن يأتي ما تريد، وقال ابن أبي دؤاد: هو كافر يستتاب لعل به عاهة أو نقص عقل!

وهنا يتحول المشهد إلى دموية القتل، ومع ذلك لم يتراجع أو يهتز الإمام أحمد بن نصر، ولم يصرخ وهو يرى السيف طالباً للعفو، أو يقدم تغيير لفكره ورسالته، بل ثبت ثبات الجبال الرواسي في العواصف العاتية.

فقال الواثق: إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومن أحد معي، فإني احتسب خطاي، ثم نهض بالصمصامة، وقد كانت سيفا لعمرو بن معد يكرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته - وكانت صحيفة مسحورة في أسفلها مسمورة بمسامير - فتقدم وقد ملأ الشيطان عقله وقلبه ببدعته.

فلما انتهى إلى الإمام أحمد بن نصر ضربه بها ضربة على عاتقه وهو مربوط بحبل قد أوقف على نطع، ثم ضربه أخرى على رأسه، ثم طعنه بالصمصامة في بطنه، فسقط صريعا رحمه الله على النطع ميتا.

يقول ابن كثير: (إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله وعفا عنه وأقول أحسبه شهيدًا لكلمة الحق).

ثم تقدم السياف فضرب عنقه وحز رأسه، وحمل معترضًا حتى

أتي به الحظيرة التي فيها بابك الخرمي فصلب فيها، وفي رجليه زوج قيود وعليه سراويل وقميص، وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياماً وفي الغربي أياماً.

والقصة لم تنته بعد، فلها بقية عجيبة ولولا أن الإمام ابن كثير ذكرها ما كتبناها، فقد تم تعيين حرس على جثة الإمام المصلوبة في الليل والنهار، وكما يفعل إعلام السلطة صحافة واذاعة وقنوات في كل زمان في التشهير وقلب الحقائق بكل صالح ناصح، وضعوا في أذنه رقعة مكتوب فيها: (هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعي! ممن قتل على يدي عبد الله هارون، الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين، بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه، وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق، فأبى إلا المعاندة والتصريح! فالحمد لله الذي عجله إلى ناره، وأليم عقابه بالكفر، فاستحل أمير المؤمنين بذلك دمه ولعنه).

ثم أمر الواثق بتتبع رؤوس أصحابه، فأخذ منهم نحوًا من تسع وعشرين رجلا، فأودعوا في السجون وسموا الظلمة، ومنعوا أن يزورهم أحد وقيدوا بالحديد، ولم يجر عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين، يقول ابن كثير تعليقاً على ذلك: وهذا ظلم عظيم.

وقد كان أحمد بن نصر من أكابر العلماء العاملين القائمين بالأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، وسمع الحديث من حماد بن زيد وسفيان بن عينية وهشيم بن بشير، وكانت عنده مصنفاته كلها، وسمع من الإمام مالك بن أنس أحاديث، وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي وأخوه يعقوب بن إبراهيم.

وذكره يحيى بن معين يوماً فترحم عليه وقال: (ختم الله له بالشهادة) وأحسن يحيى بن معين الثناء عليه جدًا، وذكره الإمام أحمد بن حنبل يوماً فقال: (رحمه الله ما كان أسخاه بنفسه لله، لقد جاد بنفسه له).

وهنا يذكر ابن كثير أعجوبة كتبها ولم يكذبها، قال جعفر بن محمد الصائغ: بصرت عيني وإلافقئتا، وسمعت أذناي وإلا فصمتا، أحمد بن نصر الخزاعي حين ضربت عنقه يقول رأسه: (لا إله إلا الله).

ويروي ابن كثير أيضا لما جيء برأس أحمد بن نصر، صلبوه على الجسر، كانت الريح تديره قبل القبلة، فأقعدوا له رجلاً معه قصبة أو رمح، فكان إذا دار نحو القبلة، أداره إلى خلاف القبلة.

* * *

آية في عقاب الله للظالمين

مات الواثق وتولى الخلافة المتوكل وقد نصر الله به السنة، وفي يوم ما جلس المتوكل، دخل عليه عبد العزيز بن يحيى المكي، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رؤى أعجب من أمر الواثق، قتل أحمد بن نصر، وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن قال: فوجد **(حزنًا وهمًا وغمًا)** المتوكل من ذلك وساءه ما سمعه في أخيه، ثم فجأة يدخل علي المتوكل الذين شاركوا في قتل الإمام شهيد القرآن.

دخل أولاً على المتوكل محمد بن عبد الملك الزيات، فقال له المتوكل: يا ابن عبد الملك، في قلبي من قتل أحمد بن نصر **(يعني أنه حزين يشعر أنه قتل مظلومًا)**، وبدلا من أن يراجع نفسه قال: يا أمير المؤمنين، أحرقني الله بالنار، إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرا.

ثم دخل على المتوكل هرثمة، فقال المتوكل: يا هرثمة، في قلبي من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين، قطعني الله إرباً إرباً، إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرًا، ثم يدخل زعيم عصابة البدعة والفتنة أحمد بن أبي دؤاد، فقال المتوكل: يا أحمد في قلبي من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين، ضربني الله بالفالج، إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرا.

سبحان الله كما دعى كل واحد منهم على نفسه عاقبه الله بما تمناه، قال المتوكل: فأما الزيات، فأنا أحرقته بالنار، وأما هرثمة، فإنه هرب واختفى، واجتاز بقبيلة خزاعة، فعرفه رجل في الحي، فقال: يا معشر خزاعة هذا الذي قتل ابن عمكم أحمد بن نصر، فقطعوه إرباً إرباً، وأما ابن أبي دؤاد، فقد سجنه الله في جلده، ومات بمرض الفالج.

(سبحان الله ان الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته).

ثم يختم ابن كثير قصة شهيد القرآن في كتابه «البداية والنهاية» بتلك القصة عن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف، قال: كان أحمد ابن نصر خلِّي، فلما قتل في المحنة، وصلب رأسه، أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن، فمضيت، فبت بقرب من الرأس مشرفاً عليه، وكان عنده رجالة وفرسان يحفظونه، فلما هدأت العيون، سمعت الرأس يقرأ:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]

فاقشعر جلدي.

ثم رأيته بعد ذلك في المنام وعليه السندس والإستبرق، وعلى رأسه تاج، فقلت: ما فعل الله عز وجل بك يا أخي؟ قال: غفر لي، وأدخلني الجنة، إلا أني كنت مغموماً ثلاثة أيام، قلت: ولم؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ مر بي، فلما بلغ خشبتي، حول وجهه عني، فقلت له بعد ذلك:

يا رسول الله، قتلت على الحق أو على الباطل؟ فقال: أنت على الحق، ولكن قتلك رجل من أهل بيتي، فإذا بلغت إليك، أستحيي منك.

إنها قصة مقتل شيخ عالم كان بإمكانه أن يسكت وعنده الثراء والوجاهة ويترخص، ولكن من للحق؟ إذا سكت العالم أو تكلم تقية فمتى يعلم الجاهل؟ وقد أخذ الله العهد على العلماء أن يبينوا الحق للناس، اللهم ثبتنا على الحق.

* * *

الإمام البويطي

قال الله عز وجل:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

يقول الامام ابن كثير في تفسيره، يمدح تعالى الذين يبلغون رسالات الله إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها، (ويخشونه) أي: يخافونه ولا يخافون أحداً سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله، (وكفى بالله حسيبا) أي: وكفى بالله ناصراًومعينا.

وسيد الناس في هذا المقام - بل وفي كل مقام - محمد رسول الله ﷺ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو - صلوات الله عليه - فإنه بُعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾

[الأعراف: ١٥٨]

ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه - رضي الله عنهم - بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم.

قال الإمام أحمد: فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرًا لله فيه مقال ثم لا يقوله، فيقول الله: ما يمنعك أن تقول فيه؟ فيقول: رب، خشيت الناس، فيقول: فأنا أحق أن يُخشى**» (ورواه أيضاً عن عبد الرزاق).

نتوقف الآن مع عالم الشافعية الأول، وصاحب الشافعي الشهيد في قيوده لكلمة حق، الإمام البويطي. قصته هدية لمن يدعون العلم وضيعوا الأمة والشريعة في نفاق الطغاة وتحريف الأدلة الشرعية، والترخص للتنعم بهدايا ورضى الحكام.

فتاريخ أمة الاسلام زاخر بالمواقف العظيمة عبر عصورها، والتي تظهرلنا حقيقة العلماء الربانيين الذين يعلمون يقيناً الدور المنوط بهم، من تبيان للحق وحكم الله، وثبات وعدم مجاملة أو نفاقاً وترخص، وتحمل عبء أمانة العلم.

وأقدم اليوم واحداً منهم في زمن غلب فيه المنافقون والمترخصون، المحرفون لكلام الله بدعوى الواقعية والمصلحة أو التوافق، أو تحت بند الضرورة ممن يحملون العلم الشرعي.

نحن الآن مع رجل واحد ولكنه كالجبل الراسي من صعيد مصر، إنه الإمام البويطي صاحب الإمام الشافعي ومن حمل فقهه وعلمه، هوأبو يعقوب يوسف بن يحيي القرشي البويطي، خليفة الإمام الشافعي في درسه، تلقى العلم صغيراً على يد شيوخ قريته الصغيرة، بويط، ثم انتقل لمجلس شيخ المالكية وكبيرهم، الإمام ابن وهب، وحمل عنه علماً كثيرا.

فلما دخل الشافعي رحمه الله مصر سنة (١٩٨هـ)، في رحلته العلمية الشهيرة، جلس إليه البويطي، فانبهر بعلمه، فلزم مجلسه ولم يفارقه، وكان البويطي ذكياً وسريع البديهة، فصار أكبر وأنجب تلاميذ الشافعي، وأكثرهم علماً وإحاطة لدقائق مذهبه ومسائله.

* * *

الدرس العظيم في المحنة والثبات

كبرت مكانة البويطي رحمه الله في مصر قبولاً وهيبةً وأتباعاً، فقد كانت حلقته في المسجد أعظم الحلقات، وكان تلاميذه بعشرات الآلاف في مصر وخارجها.

في هذه الفترة ظهرت بدعة القول بخلق القرآن بعاصمة الخلافة بغداد، على يد المعتزلة الذين وجدوا من الخليفة المأمون العباسي رعاية وتبني لبدعتهم، وذلك بسبب انشغاله في الفلسفة والكلام والمنطق، دون بصيرة علم وفقه، وقد اقتنع المأمون ببدعتهم في القول بخلق القرآن، وعمل على دعوة الناس للقول بها.

ولكن لم يكن الأمر سهلاً فالصالحون المخلصون من العلماء والفقهاء والمحدثين رفضوا هذه البدعة، مما دفع المأمون سنة (٢١٨ هـ) إلى حمل الناس على القول بها، ولكن لم يطل العمر بالمأمون كثيراً فمات من عامه ذلك (٢١٨ هـ) وتولى الخلافة بعده المعتصم وكان مشغولاً بالغزو والفتوحات، ولكنه عمل بوصية المأمون وهي إجبار الناس على القول بخلق القرآن، ومعه حدثت محنة الإمام أحمد المشهورة، وتوفي المعتصم سنة (٢٢٧ هـ) وخلفه ابنه الواثق وكان أشد الخلفاء اعتناقاً للبدعة، ورغبة في نشرها، بسبب استيلاء راعي البدعة

القاضي أحمد بن أبي دؤاد الإيادي عليه، وأطلق الواثق يد أحمد بن أبي دؤاد في فرض البدعة كما يشاء فكانت محنة المسلمين عظيمة.

استغل أحمد بن أبي دؤاد علاقته بالواثق فعمل على نشر هذه البدعة بين المسلمين بكل الطرق، حتى وصل الأمر إلى أنه لايتم تعيين أي عامل للدولة إلا بعد اختباره بهذه البدعة، ومطاردة كل من يقول بخلافها، وسجنه وحتى قتله.

نتيجة لهذه السياسة تم تولية القاضي المعتزلي أبي بكر الأصم في منصب قاضي مصر، فلما جاء مصر استوقفه مكانة الإمام البويطي والجموع الغفيرة التي تتبعه، وعلم الأصم أن الإمام البويطي يعارض تلك البدعة بل يناهضها، ويدعو إلى التزام الحق، وأن القرآن كلام الله، فأسرع بإبلاغ بن أبي دؤاد، فكتب بن أبي دؤاد إلى والي مصر وأمره بامتحان البويطي على خلق القرآن فإن أجاب وإلا وضعه في السجن.

وجاءت الرسالة للوالي الذي كان محباً للبويطي، معظماً لعلمه وورعه، ويكره أن يكون سبباً في سجنه، فأرسل إليه ولما مثل البويطي بين يديه، أمر الوالي بإخلاء المكان من المتواجدين تماماً (**وهنا في هذا الموقف يتم عرض فتنة شديدة عظيمة يقع فيها أعتى الرجال، إنه القبول بسرية الحق وضمانة من الوالي، ولكن ماذا سيكون رد البويطي؟**)، قال الوالي للإمام البويطي (يا أبا يعقوب أبق على نفسك، وقل بالأمر سرًا بيني وبينك، فأنا لا أملك مخالفة ابن أبي دؤاد، وأنت تعلم مكانه من

الواثق)، ولكن الإمام البويطي ليس الذي يترخص أو يستخدم التقية؛ فهو يعلم دوره ومكانته والتكليف الشرعي له بتبيان الحق، فقال للوالي بصوت مسموع هادئ: (إنه يقتدي بي مائة ألف أو يزيدون، لا يدرون أني أتظاهر فقط بالموافقة، وإن أجبت أجابوا هم أيضا).

(الله أكبر اليوم من يلبسون ملابس العلماء يندفعون لنفاق الحكام جهراً، ومنهم من يظن أن المفسدة في منعه من السفر أو الخطابة أو فصله من وظيفته، فيسارع بتقديم القربان من تحريف الشرع للحاكم، ويظن أنه بذلك كسب موقفًا عند الحاكم؛ كي يبقى موقعه الإلكتروني أو فضائيته، ولا يدري المسكين أنه ضيع الحق، وأن الباطل هزمه ولن تقوم له قائمة).

فاحتار الوالي المحب للبويطي، ولكن الخبر وصل لطاغية بدعة خلق القران ابن ابي دؤاد، فأمر على وجه السرعة بحمله إلى بغداد في الحديد الثقيل، وذلك سنة (٢٣٣ هـ) وسجنه عند وصوله، وهنا يصف لنا الربيع بن سليمان مشهد العالم البويطي في أغلاله وقيوده ولكن المشهد رغم قسوته فيه صورة صلابة المؤمن الربانية والثبات وعظيم الإيمان والعلم عندما يكون عملًا لا قول فقط.

يقول الربيع بن سليمان: رأيت البويطي على بغل، في عنقه غل وفي رجليه قيد، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنما خلق الله – سبحانه – الخلق بِكُنْ، فإذا كانت كن

مخلوقة فكأن مخلوقاً خلق مخلوقاً، فوالله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم، ولئن أدخلت عليه لأصْدُقنه يعني الواثق.

(الله أكبر، فليتعلم مدعو العلم المنافقون المنغمسون في أكل السحت من الحكام الغارقين في فتن القصور والشهرة والحرص على الدنيا، فليتعلموا كيف تكون مكانة العالم وثباته في الحق وتبليغ رسالة الله إلى الناس، مهما كانت المعوقات والبلايا)

تخيلوا الإمام العالم الجليل صاحب الشافعي الأول، يحمل من الفسطاط إلى بغداد على بغل، والقيود والأغلال في يده، في رحلة تمتد أسابيع ولايهتز ولايخضع ولايترخص رغم طول المسافة وشدة العذاب.

إنه تبليغ رسالة محمد ﷺ والعجيب أنه مع كل ذلك كان طوال الرحلة آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، معلماً مربياً واعظاً، لكل من مر عليه من المسلمين.

فلما بلغ ابن أبي دؤاد ثباته وإصراره، ومافعله وقاله حتى وصوله لبغداد، وأنه لم يتراجع بحرف واحد **(ولم يسارع البويطي بعمل اتصالات، أو البحث في ذاكرته عن صاحب سلطة، بل ظل ثابتاً لأنه يحمل رسالة ربه)**

اشتد غضب ابن أبي دؤاد جدًا، وثار ثورة عارمة وقرر ألا يمتحنه بسؤال بدعة خلق القرآن مثلما فعل مع غيره، ولم يدخله على الخليفة كما حدث مع غيره من كبار العلماء، خشية من قوته في الحق وثباته أن يقنع الواثق بالحق، فقد كان البويطي في هذا الوقت معلوماً للناس من أعلم أهل الأرض وأكثرهم فقها، فأمر ابن أبي دؤاد بإلقائه في غياهب السجون مباشرة.

ظل البويطي في ظلمة السجون لشهور عديدة، ولكنه لم يلن ولم يداهن ولم يترخص، بل كان مثالاً للعالم الرباني، الصابر الصامد الثابت على الحق، فشغل أيام سجنه بالصلاة والذكر والعبادة والقراءة والتضرع، وتعليم للمساجين.

وفي السجن أرسلوا إليه من يناظره ليرجع عن الحق، فكانوا يستسلمون أمامه، فاشتد غضب ابن ابي دؤاد عليه، ويروى أن البويطي وهو في السجن إذا سمع المؤذن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه، ومشى حتى يبلغ باب الحبس، فيقول له السجان: أين تريد؟فيقول: حيث داعي الله، فيقول السجان: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني.

الله أكبر ماشاء الله لاقوة إلا بالله ثبات وإيمان عجيب مما زاد في غضب ابن أبي دؤاد، وحقده وغله على البويطي، فأمر بتشديد الأغلال

والقيود عليه، فلفوه كله بالحديد، حتى لم يعد قادراً على الحركة إلا بصعوبة كبيرة.

أثر ذلك التشديد في نفسية الإمام تأثيراً كبيراً بسبب أنه منعه من الأنس وحلاوة تذوق الإيمان بالصلاة وقيام الليل والعبادات، ولكنه لم يتراجع ويخذل الحق فكان الإمام يعاني من صعوبة بالغة في الحركة ودخول الخلاء والتطهر للصلاة، وقد كتب رسال مؤثرة أرسلها من محبسه إلى الإمام الذهلي وهو من كبار علماء الحديث في خراسان واصفاً حاله.

فكتب له يقول: (يا أبا يحيي، قل لإخواني أصحاب الحديث، وطلبة العلم أن يدعو الله تعالى أن يفك كربتي، فلقد كبلوني بالحديد حتى إني لم أعد أتطهر وأصلي كما ينبغي، عسى الله أن يفرج عني ما أنا فيه بدعائهم).

لما قرأ الإمام الذهلي الرسالة على المجلس بكى وبكوا جميعا وضجوا له بالدعاء.

ظل البويطي ثابتا مؤمناً راضياً بقضاء الله، يدعو الله أن يخلصه من هذا الكرب العظيم بعد أن عجز عن الحركة ودخول الخلاء والصلاة من القيود والأغلال، وسرعان ما جاء الفرج، من عند رب السموات والأرض، وأخرجه الله ﷻ من السجن الكبير، أخرجه من سجن الدنيا التي لاقى فيها من أهلها الظلم، أخرجه الله سبحانه إلى

الراحة الأبدية، إلى جنات عرضها السموات والأرض - فيما نحتسبه عند الله ولانزكي على الله أحدًا - ومات البويطي نحتسبه شهيداً في محبسه وقيوده وأغلاله، وكانت وصيته أن يدفن في قيوده لا تفك عنه، ليخاصم أعداءه أمام الله تعالى يوم القيامة، مات البويطي - رضي الله عنه وأسكنه فسيح جناته - في السجن، ولكنه مات عزيزاً منتصراً لله ولدينه وللحق وعاش خصومه في ذل وغضب من الله.

وهكذا العلم ليس كتابًا فقط يقرأ، إنما عمل يعمل به العلماء الربانيون، يكونون منارة لعباد الله في ظلمات الجهل والقهر والنفاق، فينيروا لهم الطريق بالثبات على الحق، غير مبالين بضغوط ولا إغراءات، ليس مذلة أن تموت في السجن، بل كل العزة في ثباتك علي الحق في السجن أو مطارداً أو مهاجراً، طالما على الحق، وكل المذلة والخزي أن تموت وأنت تخون دينك وأمتك والحق، وأن تكون عوناً للظالمين، اللهم ثبتنا فما عند الله ﷻ خير وأبقى.

قال الإمام ابن عقيل «كتاب الفنون»:

(بقاء النفس مع الذل ليس بغنيمة، بل هو الخسران المبين. ومن عد الحياة مع الذل نعمة؛ فقط أخطأ طريق الإصابة).

* * *

وقفات مع فتنة خلق القرآن الحديثة

بعد ما سردت قصص الأئمة أحمد بن حنبل، وأحمد بن نصر الخزاعي، والبويطي، نجد أن عنوانها الثبات مهما كان الأذى والصبر والصدع بالحق مهما كانت النتيجة.

عنوان عملي وواقع صادع ناصع لموقف الأئمة الكرام ابن حنبل واحمد بن نصر والبويطي في فتنة خلق القرآن.

لماذا تحملوا كل ذلك الألم والتعذيب والقتل؟ هل لأنهم يعلمون أن إقرار بدعة خلق القرآن كفر فقط؟ لا، ولكنهم كانوا يعلمون أن الإقرار بخلق القرآن فتنة إذا مرت تبدلت الشريعة والإسلام، فكانوا كأنهم جيش مجاهد يجاهد دفاعاً عن الأمة بالثبات على الحق لأن من مفاسد القول بخلق القرآن المتعددة. إزالة التقديس عنه من كونه كلام الله عزوجل، وتبديله إلى كلام مخلوق لاقداسة فيه ولاعصمة له، ويجرى عليه التغيير، وأن ذلك مدخل لكل حاكم أن يستولى على حق الله في الحكم والتشريع بالتدخل بالتغيير في القرآن المخلوق الذى لاقدسية له، وتشريع مايشاء، لأن الحاكم مخلوق والقرآن مخلوق.

لذلك كانت صلابة ابن حنبل وابن نصر والبويطي، فأقاموا سداً منيعاً قوياً بثباتهم أمام المحاولة الأولى لاختراق قدسية القرآن، وبفضل الله ثم ثباتهم عاشت الأمة وحكامها قروناً لاتقترب من القرآن والشريعة.

صحيح وجد عدم تنفيذ وتكاسل، وعدم قيام بالحكم الشرعي، لكن لم يستطع حاكم مهما كان أن يقترب من قدسية القرآن وأحكامه بتبديل أو تحريف.

جاء الصليبيون من الفرنسيين والإنجليز في القرن التاسع عشر، في لحظة فارقة من ضعف الأمة وهوان حكامها، فأغروهم بتغيير الأحكام وتبديلها مع بقاء القرآن يطبع ويقرأ فقط، ولايُعمل به، ويحكموا بالقوانين الوضعية من البشر.

زرعوا العلمانية واستولوا على الحكم وإدارة البلاد بعد مانزعوا من حياتهم العمل بالقرآن وقدسية أحكامه، وقرروا خلق القرآن بطريقة معاصرة جديدة، بدون اللجوء للقول بخلق القرآن، بل لم يتعرضوا لمن قال إنه كلام الله، ولكن جعلوه لايُعمل به.

فكانت فتنة خلق القرآن الحديثة عملياً بنزع القدسية، وإجراء التغيير والتبديل في أحكام القرآن الواجب تنفيذها على المسلمين.

فأصبح التوحيد خاضعاً للحرية والرأي الآخر، والعقيدة خاضعة لحرية الفكر، والولاء والبراء تشدد، وإقامة الحدود لاتناسب العصر، والزنا حرية وبالرضا بين الطرفين، والسجن للسارق بدل قطع اليد، وهكذا، أصبح التبرج موضة، والحجاب الذي فرضه القرآن المقدس رجعية لا تلائم العصر، وهكذا عادت فتنة خلق القرآن بصورة خبيثة

شيطانية، ومن هنا نعلم فضل الثبات على الحق، وصدع العلماء بالحق، فهو الذي يحمى الدين من العبث ومكائد شياطين الإنس.

ونعلم أن الأغوات علماء السلطان اليوم في مصر والسعودية والإمارات وتونس وغيرهم من البلاد، وما أدراك ما تونس وحزب النهضة، ومورو الذي يكرر ابن دؤاد وخلق القرآن بعصرنة، فيتعدى على قدسية القرآن وأحكامه تحت طُعم خبيث، عنوانه الحرية والمساواة.

وكذلك يحدث من كثير من العلماء في كثير من بلاد المسلمين الذين يؤيدون الطغاة في تبديلهم شرع الله وموالاتهم لليهود والنصارى، والتحريض على ظلم وقتل وسجن الصالحين، فهم تكرار سيء بل أسوأ من ابن الزيات وابن دؤاد.

ولكن اليوم المصيبة الكبرى أنه لايوجد ابن حنبل وابن نصر والبويطي، يقيمون السد ويمنعون الانحراف وضياع قدسية القرآن، ويبقى الأمل في قلة من العلماء ثابتين، يحاربهم الطغاة ويطاردونهم ويعتقلنوهم، لمنع تكرار بناء سد الثبات، كما فعل ابن حنبل والخزاعي والبويطي، رضي الله عنهم أجمعين.

قال د. سفر الحوالي عن العلماء، في كتابه الذي اعتقل على إثره مؤخراً: (نستحق ذلك لأننا سكتنا، ولم ننكر المنكر، ورضينا بالحياة الدنيا من الآخرة، وما بقي الا تكلفة بناء الهيكل، فهل تبنيه الإمارات مثلا! تلك الإمارات التي تشتري البيوت من المقدسيين وتعطيها لليهود).

الإمام أبو بكر النابلسي

عندما يكتب التاريخ يكتب الأفعال والمواقف للعلماء، لايكتب دروسهم فهي في الكتب، إنما يكتب أعمالهم التي هي تصديقاً لعلمهم، وعلماؤنا الآن معظمهم ضجيج بلا طحن، ولامواقف صادعة بالحق لله، ولا جهاد في سبيل الله، وأحدهم لو خطب خطبة أو كتب كتاباً يحزن أن ابن كثير لم يكتبه في البداية والنهاية.

والآن يستوقفنا التاريخ مع العالم العامل بما يقول، الصادع بالحق مضحياً في سبيل الله أبي بكر النابلسي.

العالم الشهيد المسلوخ لكلمة حق، إنها قصة العالم الحقيقي الذي يعرف قيمة الرسالة التي يحملها، وتبليغ كلمة الحق وتحمل التبعات كما سار الأنبياء، لامن تشبهوا بالعلماء واغترفوا من المناصب والأضواء الريالات، ولما فرضت عليهم كلمة الحق للتبيان للناس هربوا وبايعواالباطل.

قصته لوكانت عند أمة من الأمم لجعلوه نبيا، واشتد غلوهم فيه، إنه الإمام الرباني، محمد بن أحمد بن سهل بن نصر، أبو بكر الرملي الشهيد المعروف، أبو بكر النابلسي.

كان رحمه الله من المحدثين الكبار، **(واليوم يشتهر بعض اهل الحديث بالإسناد والتحقيق، واكتفوا بذلك وقل أن تجد منهم من يقف مواقف تحقيق**

الحديث بالجهر بكلمة الحق)، فقد حدّث عن سعيد بن هاشم الطبراني، ومحمد بن الحسن بن قتيبة، ومحمد بن أحمد بن شيبان الرملي.

كما حدّث عنه: تمام الرازي، والدارقطني، وعبد الوهاب الميداني، علي بن عمر الحلبي، وغيرهم.

وكان عابدًا صالحاً زاهداً لم يبع علمه على أبواب السلاطين بل كان قوالاً بالحق مع إمامته في الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصولة عند الخاصة والعامة.

قصته عظيمة في زمن حكم الطغاة العبيدين الباطنية لمصر، فقد حكموا بالقهر والسيف والظلم وغيروا بالإكراه عقيدة المسلمين أهل السنة، فهرب منهم العلماء والصالحون وقبضوا على الكثير فأكرهوهم على قول الباطل.

ولكن عالمنا الرباني كان له موقف آخر، سجلته الملائكة وسجله التاريخ، فقد كان من سكان الرملة بفلسطين، ولما ظهرت الدولة الفاطمية ببدعتهم الشيعية الكفرية، ولعن أمهات المؤمنين والصحابة علانية في كل صلاة وعلى المنابر، وأبطلوا صلاة التراويح والضحى، وفرضوا بدعتهم المنكرة، دعى أبو بكر النابلسي لجهادهم وذهب لدمشق وأعلن بدون تردد وجوب الجهاد، وقال فتواه المشهورة في فرضية جهادهم، فقبض عليه حاكم دمشق وأرسله في قفص خشب مسلسل مقيد إلى مصر.

وهنا نتوقف، الرجل أمامه فرصة طوال طريق استمر مسيرة شهر

أن يكتم إيمانه، وأن يقدم مراجعات فكرية لفتواه بالجهاد، ثم يعلن أنه كان مكرها.

فالفاطميون زنادقة يقتلون الناس بالشبهة، ولا يرحمون أهل السنة، ولكن كيف للعالم الرباني الذي يعلم الناس حديث رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ حق (عَدْلٍ) عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**»، والسلطان هنا مفسدته متعدية لعقيدة المسلمين.

فلم يتردد رغم طول الحبس والمشقة في السفر حتى وصل إلى قصر الحاكم العبيدي، وهنا يروي لنا الموقف والحوار الإمام أبو الفرج بن الجوزي: قال الحاكم العبيدي للإمام أبي بكر النابلسي: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرميَ في الروم سهماً، وفينا تسعة.

(إنها فتوى الجهاد ضد الفاطميين التي أعلنها في دمشق فكيف يكون الرد؟) قال الامام أبو بكر النابلسي: ما قلت هذا.

(وهنا فرح الحاكم فقد ظن أن الإمام تراجع، وسيعلن وثيقة مراجعة وولاء وبيعة له، ولكنه صدم صدمة مروعة).

قال الإمام أبو بكر بصوت مرتفع قوي، بل قلت: إذا كان معه عشرةُ أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضاً؛ فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الإلهية.

(الله أكبر! إنها كلمة الحق، والعهد الذي أخذه الله على العلماء، لتبيينه للناس ولاتكتمونه).

فاشتد غيظ الحاكم العبيدي وانفجر كمداً وهو يصيح اقتلوه، ولكن شهروا به، أي يتم الطواف به مقيداً في الشوارع يوماً، ثم اضربوه بالسياط في اليوم الثاني، ثم اسلخوه في اليوم الثالث، هكذا كان الحكم من الحاكم الكافر بدين الله.

وأمر يهودياً فسلخه زيادة في التنكيل، فلم يهتز الإمام في التشهير ولا الضرب بالسياط ولا عند سلخه، ولم يقدم التماساً ولاطلب عفواً، يا الله ما أعظم تثبيتك لعبادك المؤمنين

(قارن بين فتوى أبي بكر النابلسي ونفاق السديسي إمام الحرمين لترامب حاكم امريكا أنه يقود العالم للسلام في الوقت الذي يحتلون فيه بلاد المسلمين وينهبون خيراتها).

قال ابن الأكفاني يصف ماحدث: سُلخ من مفرِقِ رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله، ويصبر حتى بلغ الصدر، فرحمه السَّلَّاخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه، فقضى عليه، وقيل: لما سُلخ كان يُسمع من جسده قراءة القرآن.

تخيل السكين تمضي في جسده، وتقطع وتسلخ جلد وجهه، وهو ثابت لايصرخ ولايجزع، بل يردد القرآن كلام الله، إنه تجسيد واقعي لقول الحق:

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١]

قال الذهبي في ترجمتة لأبي بكر النابلسي: قال أبو ذر الحافظ: سَجَنَه بنو عُبيد، وصلبوه على السنة، سمعت الدار قطنّي يذكره ويبكي، ويقول كان يقول، وهويُسلخ ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾[الإسراء: ٥٨]

لقد سجل التاريخ كفر وظلم وقسوة الشيعة، وكيف رحمه اليهودي عند سلخه، ولم يرحمه الرافضة الأنجاس، هو تطبيق واقعي لقيام العالم بالرسالة ونصر الدين، إنه عالم من علماء الحديث، فهو يعلم أنه يحمل ما هو أفضل من أي شيء في الدنيا، الإسلام الحق!

لقد سجنه الفاطميون وصلبوه لثباته على السنة، ومن مظاهر ثباته: إنه لما أُدخل مصربعد سفرشهر في قفص مقيداً، قال له بعض المنافقين الذين بايعوا وقبضوا الريالات: الحمد لله على سلامتك!، يشمت فيه، فقال الإمام أبوبكر: الحمد لله على سلامة ديني وسلامة دنياك!

لما سُلخ كان يُسمع من جسده قراءة القرآن، وذكر ابن الشعشاع المصري أنه رآه في النوم بعدما قُتل، وهو في أحسن هيئة. قال: فقلت: ما فعل الله بك؟ قال:

حبانـي مالكي بـدوام عزٍ ... وواعدني بقرب الانتصارِ

وقربني وأدناني إليه وقال ... أنـعم بعيشٍ في جواري

تقبل الله شهيد الإسلام والسنة وكلمة الحق أبي بكر النابلسي، ولعل في قصته درساً يوقظ العلماء المخدرين بدراهم السلاطين والحكام، الذين يسارعون بالتغريدات لتأييد الحكام الطغاة الفجرة، ودرساً لنا جميعا، وتعليماً لأولاد المسلمين كيف يكون العلماء، بدلاً من الصور المشوهة لعلماء السلاطين.

* * *

سلطان العلماء العزبن عبد السلام

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]

عندما يكتب سلطان العلماء يصعد اسمه بسرعة على العقول والأفهام، حتى جوجل الإنترنت سرعان مايقول لك إنه العز بن عبد السلام سلطان العلماء، الذي أعلن وأثبت وعمل على أن تكون مصلحة الدين فوق الحاكم، وأن قوة العسكر لا تمنع من إنكار المنكر.

هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذّب السُلمي، ولد بمدينة دمشق عام (٥٧٨ هـ) وهو شافعي المذهب، ملقب بسلطان العلماء وبائع الملوك والأمراء. اشتهر باسم العزّ بن عبد السلام.

لقد وُلد في دمشق، وعاش فيها وبرز في الدعوة والفقه، توفي سنة (٦٦٠هـ) في مصر، قال عنه تاج الدين السبكي: شيخ الإسلام وإمام المسلمين، وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، ولم ير مثل

نفسه، ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً في الحق، وشجاعة، وقوة جنان، وسلاطة لسان.

سيرته في الصدع بالحق وإنكار المنكر طغت على سيرته العلمية، رغم أنه بلغ مرتبة الاجتهاد، ولكن كما قيل إن العلم هو العمل، وسلطان العلماء العز بن عبد السلام يعلم كل العلماء والدعاة كيف يكونوا دعاة وعلماء بحق.

الموقف الأول في مواجهة الظلم:

كان هذا حين تعاون الصالح إسماعيل حاكم دمشق مع الصليبيين لحرب أخيه نجم الدين أيوب في مصر، مقابل أن يعطي الصليبيين مدينتي صيدا والشقيف، والسماح لهم بشراء السلاح من دمشق.

وهنا يقف الشيخ العز بن عبد السلام يعلم كل شيخ وداعية مسؤلية الدعوة إلى الله بكلمة الحق، فهاجم الصالح إسماعيل بشدة على المنابر، (**لم يقل بالسكوت من أجل الفتنة يا أخي!! أو يجوز للمصلحة! وحتى نحافظ على الدعوة، والمحافظة على الممكن من صلاة ولحية، وحتى لا نقف في طابور اللجوء نقف في طابور تأييد الطغاة**)، ورغم أنه لم يكفره علانية وأنها اتفاقية، لكنه أصدر فتوى قال فيها بكل وضوح وقوة، إن الحاكم الصالح إسماعيل لا يمتلك المدن الإسلامية، ليتنازل عنه اللصليبيين، ولا يجوز بيع السلاح للصليبيين؛ لأنه معروف أنهم سيقتلون بها إخوانهم من المسلمين في مصر.

(تأمل مواقف وشيوخ ودعاة الغبرة الآن ونفاقهم بتأييد السفاح السيسي، وقبل انتخابات الرياسة في مصر أعلن عن اتفاقية بين مصر وأمريكا تخضع جيش وأراضي مصر للجيش الامريكي (CisMoA) لقتال المسلمين في أي دولة، وهي كاتفاقية الصالح الأيوبي مع أمريكيي الأمس، تأمل تعرف الفرق، وغير ذلك ماحدث عند احتلال العراق وأفغانستان ودعم دول عربية للأمريكيين)

سمع السلطان بفتوى العز بن عبد السلام فقام السلطان بعزله من كل مناصبه، فلم يبالِ مطلقا، ولم يقم باتصالات من أجل عودته للخطابة ومصلحة الدعوة!، كما يفعل المصابون بمرض المصلحة، فقد كان العز بن عبد السلام يعلم أن المصلحة هي مصلحة الإسلام، وعلى ذلك أفتى.

ولصلابة الحق حدث موقف عجيب، فالذي قام باتصالات هو السلطان للتغرير بالشيخ، ذهب إليه منافق من الديوان الملكي أورياسة الجمهورية؛ كي يعده بالعودة إلى كل مناصبه بشرط أن يترضى على الصالح إسماعيل، ويعتذر له، بشرط ألا يتكلم في أمور السياسة، وإلا اعتقله.

وذهب رسول الصالح إسماعيل إلى العز بن عبد السلام، وقال له: (بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه، وزيادة، أن تنكسر للسلطان، وتُقبل يده لا غير!)، فرد عليه العز بن عبد السلام في كبرياء وعزة قائلاً: (والله يا مسكين، ما أرضاه أن يُقبل يدي، فضلاً أن أقبل يده،

يا قوم أنتم في واد، وأنا في واد، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به).

هل سمعتم ياشيوخ الغبرة والنفاق، يا لحى على تيوس في مصر والسعودية وكل مكان.

فغضب الحاكم الصالح إسماعيل وأصر على عزله عن منصبه من القضاء، ثم أمر باعتقاله وحبسه، ثم أخرجه تحت ضغط الجماهير المحبة للحق، التي تعلم أن مصلحة الدعوة في الجهر بالحق، (**وليس بالرقص أمام لجان السفاح السيسي أو تويتات تأييد الطاغية**).

وخرج الشيخ العز بن عبد السلام مهاجراً من دمشق وقد قارب على السبعين من عمره، ولم يفكر في شيخوخته وأولاده ومصلحة العلم الذي يكتبه في الكتب، أو مصلحة جماعة المسجد كما يفعل منافقو اليوم، بل كان تفكيره مصلحة الإسلام فقط.

وصل العز بن عبد السلام إلى مصر، واستقبله الحاكم نجم الدين أيوب واحتفى به، وولاه منصب القضاء والخطابة في مسجد عمرو بن العاص.

* * *

موقف ثان للحق في مواجهة الباطل

الشيخ لايسكت عن الحق، فقد لاحظ أن المناصب الكبرى والولايات العامة وأمراء الجيش كانت كلها للمماليك، الذين اشتراهم نجم الدين قبل ذلك، فكان الحكم كله في أيديهم، ومنهم من لم يثبت تحرره من الرق وهو كبير قضاة مصر في ذلك الوقت، فأصدر فتوى أن المماليك في حكم العبيد، ولا يجوز لهم الولاية على الأحرار، وبالتالي عزلهم جميعاً من مناصبهم. **(إنها فتوى ثورة ومواجهة مع العسكر وقادة الجيش والدولة العميقة).**

غضب المماليك غضباً شديداً وتوجهوا نحو سلطان العلماء العز بن عبد السلام لمحاولة اقناعه بالتخلي عن فتواه، ثم حاولوا تهديده لكنه رفض وأصر على موقفه.

ورفع الأمر للحاكم الصالح نجم الدين أيوب، فرفض كلام الشيخ، وحاول أن يؤثر عليه ليغير فتواه، فلم يأتمر الشيخ بأمره ولم يأسره معروف الصالح نجم الدين أيوب بإخراجه من السجن وتوليته منصب كبير قضاء مصر، بل قال له بكل وضوح ألا يتدخل في شئون القضاء.

(راجعوا مواقف القضاة في مصر وبلاد العرب خاصة، وأحكامهم من سجن وإعدام الأحرار وتأييد كل ظالم، ولم تراوده نفسه أن يبقى

لمصلحة الممكن والمساكين والفقراء، فالشيخ يعلم أن المصلحة هي مصلحة الدين وليس كما يقول منافقي ودجالي الكروش اليوم).

وقرر الرحيل عن مصر وركب حمارته وهو الشيخ السبعيني (**وليس طائرته ولاسيارته ٤×٤**) للرحيل، وقال قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]

وهنا خرجت القلوب المحبة للحق من الشعب خرج الآلاف من أهل مصر علماء وتجار، رجال ونساء وصبية خلف الشيخ تأييداً له، بل وقرر الصالحون من العلماء الرحيل معه، ولما علم الصالح أيوب بذلك أسرع بنفسه للشيخ لاسترضائه.

لكن الشيخ لم يقبل باسترضاء الحاكم، بل اشترط أن يبيعوا المماليك وبعد ذلك يتم عتقهم، (**بعض الشيوخ الدجالين بالتليفون يقول لشرطي الملك، لبيك وسعديك والفتوى بين يديك**) ولما كان ثمن هؤلاء الأمراء من قبل كان من بيت مال المسلمين، فلابد أن يرد المال إلى بيت مال المسلمين، وتم بيعهم لذلك أطلق على الشيخ العز بن عبد السلام (بائع الأمراء)، ويذكر أنه نصحه أحد أبنائه أنه يخاف عليه من بطش أمراء المماليك، فرد عليه الشيخ الجليل بقوله: أأبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله؟

موقف ثالث للحق

في يوم العيد خرج موكب السلطان يجوب شوارع القاهرة، والناس مصطفون على جوانب الطريق، والسيوف مسلطة، والأمراء يقبلون الأرض بين يدي السلطان هيبةً وأبهةً، وهنا وقف العز بن عبد السلام، وقال: (يا أيوب)، هكذا باسمه مجرداً من أي لقب، فالتفت أيوب الحاكم القوي ليرى من هذا الذي يخاطبه باسمه الصريح، وبلا مقدمات، وبلا ألقاب، ثم قال له العز بن عبد السلام: (ما حجتك عند الله عز وجل غداً إذا قال لك: ألم أبوئك ملك مصر، فأبحت الخمور؟)، فقال السلطان: (أو يحدث هذا في مصر؟)، قال: (نعم، في مكان كذا وكذا حانة يباع فيها الخمر، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة)، فقال: (يا سيدي أنا ما فعلت، إنما هو من عهد أبي)، فهز العز بن عبد السلام رأسه، وقال: (إذاً أنت من الذين يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة»، فقال: (لا، أعوذ بالله)، وأصدر أمراً بإبطالها فوراً، ومنع بيع الخمور في مصر.

وفي السعودية الآن، يتم اعتقال إمام الحرم صالح آل طالب لمجرد أنه خطب خطبة عن أهمية تغيير المنكر بدون أي إسقاط على الحكام.

وبعض الدجالين من الشيوخ يرى المنكر والدعارة علانية ولا ينصح بكلمة حق لله من أجل مصلحة كرشه!

(وأحدهم اسمه عبدالعزيز الريس قال: (لو الحاكم زنى وشرب الخمر علانية لاتنكروا عليه)، والله لوسمعه العزبن عبدالسلام لأقام عليه الحد).

وقد توقف أحد طلاب العز بن عبد السلام وسأله: يا سيدي ماذا فعلت مع السلطان وهو في أبهته وعظمته؟ فقال: رأيته في أبهة وعظمة فخشيت أن تكبر عليه نفسه فتؤذيه، أردت أن أعرفه قدرها، وسأله آخر: كيف واجهت السلطان؟ قال: يا بني استحضرت عظمة الله عز وجل وهيبته فلم أرَ أمامي أحداً.

(وبعض دجالي الشيوخ إذا ما شاهد عسكريًا، قال: المصلحة توجب السكوت من أجل بناء الكروش).

* * *

موقف رابع للحق

وصلت قوة الشيخ ﵀ وجرأته في الحق إلى أن أصدر فتوى بسقوط عدالة وشهادة نائب السلطان، الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، بسبب قيامه ببناء طبلخانة (مبنى للطبل والغناء) قريب من جامع بالقاهرة، وقد ظل الأمير فخر الدين ساقط الشهادة حتى مات، حتى إن الخليفة العباسي المستعصم ببغداد رفض رسالة جاءته من السلطان نجم الدين أيوب بسبب أن مؤدي الرسالة هو الأمير فخر الدين.

(ودجالين الشيوخ يتقربون لكل سواقط العدالة والدين من المخانيث، وكل ضال الفكر والعمل ويجعلونهم أولياء أمر ويتخشع له ويقول سيادتك وسيدي! والعجيب أنهم يجاهرون بعداوة أهل الحق).

* * *

موقف خامس للحق

جمع قطز القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم فيما يلزم لمواجهة التتار، وأن بيت المال بحاجة إلى أموال الشعب ليتمكن من الجهاد، ووافقه جُلّ الحاضرين على جباية الضرائب لهذا الأمر، ولم يذْكروا ما عند الأمراء من أموال.

وعندئذ تكلم العز، وكان يومها في الثمانين، وأصدر فتواه المزلزلة بالحق لكل باطل، فقال: (إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم، بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء، وبشرط أن يؤخذ كل ما لدى السلطان والأمراء من أموال وذهب وجواهر وحُليّ، ويقتصر الجند على سلاحهم ومركوبهم، ويتساووا والعامة).

وهنا تلعثم الجميع ولكن بسبب قوة الحق انصاعوا، ولو كان العز ابن عبد السلام يفهم الدين بفهم مختشى شيوخ اليوم لقال إن المصلحة تقتضي جمع الكلمة والسكوت عن الأمراء وأموالهم لمواجهة التتار، ولكنه يعلم أن المصلحة هي مصلحة الدين والحق فقط.

(بعض الشذاذ يحاولون اليوم إرضاء لطواغيت الحكم والعلم التشويش على سيرته، ويقولون إنه كان على معتقد الأشاعرة، ومنها ينطلقون لرفض سيرته، وهم كذباب يحاول أن ينال من صقر يحلق في

الآفاق، وهم يحلقون حول جيفة عساكر السلطان).

وقد مدح كبار الأمة الشيخ العز بن عبدالسلام، فقدقال الذهبي:

بلغ رتبة الاجتهاد، وانتهت إليه رياسة المذهب، مع الزهد والورع والأمربالمعروف والنهي عن المنكر، والصلابة في الدين.

وقال ابن كثير: العز بن عبد السلام شيخ المذهب، ومفيد أهله، وله مصنفات حسان، وبرع في المذهب، وجمع علوماً كثيرة، وأفاد الطلبة، ودرَّس بعده مدارس، وانتهت إليه رياسة الشافعية، وقُصِدَ بالفتاوى من الآفاق.

وقال جلال الدين السيوطي: الشيخ عز الدين أبو محمد، شيخ الإسلام، سلطان العلماء، أخذ الأصول، وسمع الحديث، وبرع في الفقه والأصول والعربية، وقدم مصر فأقام بها أكثر من عشرين عاماً ناشراً للعلم، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، يغلظ على الملوك فمن دونهم، وله من المصنفات والكرامات الكثير.

رضى الله عن سلطان العلماء العز بن عبدالسلام، وأسكنه فسيح جناته، ورزقنا بأمثاله من العلماء وطهر البلاد من ذباب الجيفة الملتحي الذي يتجمع حول جيف السلطان.

* * *

شيخ الاسلام العالم المجاهد ابن تيمية وخفراء التتار

في أمة الإسلام رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليهم فهموا الرسالة ودورهم فقاموا بواجبهم فصنعوا تاريخ عز ومجد للأمة ومنهم ابن تيمية رحمه الله.

يقول د. عبد العزيز كامل فى حوار له على موقع مداد إن: (انعدام أو فقد شيء من صفات القيادة وخصائصها، يخرج لنا حَمَلة للعلم عجزة. نعم عجزة! عجزة عن الجهر بالحق لأنهم درسوا علوماً أفرغت في عقولهم دون أن تجاوزها إلى قلوبهم وأخلاقهم وأعمالهم، فتمر بالأمة أزمات، فلا يقتصر عجزهم في مواجهتها على اتخاذ مواقف عملية جريئة، بل حتى في المواقف العلمية يقفون عاجزين حائرين عن الصدع بكلمة الحق، وينسون أن الله أخذ على أهل العلم الميثاق، ﴿وَإِذ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم وَاشتَرَوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئسَ مَا يَشتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فتتخبط الأمة، ولا تخرج من شفاههم كلمة حق تبرؤهم أمام الله عز وجل.

إن تلك الشخصية التي نبحث عنها تتمثل بشيخ الإسلام ابن تيمية. فقد كان شخصية علمية فذة، لكنه في نفس الوقت كان شخصية قيادية من الدرجة الأولى، عاش في عصر تجمعه مع عصرنا بعض أوجه الشبه من حيث انتشار الاضطرابات السياسية والعسكرية. فمن ناحية؛

نزل التتار بالبلاد، والصليبيون يتململون، والدول الإسلامية تعيش حالة من عدم الاستقرار السياسي لعدم وجود خلافة إسلامية مركزية بيدها التوجيه السياسي والاستراتيجي، ومن ناحية أخرى انتشار شيء من الفوضى الفكرية والعقدية حيث رفع الروافض عقيرتهم، وبالغوا في نشر دينهم وشبهاتهم، وانتشر التصوف الفلسفي المقيت، ثم تُوِّجَت هذه القلاقل بانعدام الرؤية الشرعية السياسية تجاه كثير من القضايا المصيرية. فطوائف من التتار استولوا على نواح من البلاد، وحكموا باسم الإسلام في الوقت الذي لم يطبقوا من الإسلام شيئاً. فهل يعتبر حكمهم شرعياً؟ وما هو الموقف من اعتدائهم على المسلمين وهجومهم على الولايات المسلِمة الأخرى؟

لكن شيخ الإسلام العالم القائد فقد أبلى بلاء حسناً، بل قاد الأمة في كل قضية من القضايا السابقة إلى ساحل الإيمان والأمان)انتهى. فمن هو شيخ الاسلام ؟ إنه أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المولود في عام ٦٦١هجرية زمن حكم الظاهر بيبرس.

بعد سقوط الخلافة العباسية بخمس سنوات على يد التتار، و ٣سنوات من موقعة عين جالوت، التي انتصر فيها المماليك على التتار، تأسست دولة المماليك وقويت. لكنها ما لبثت أن دب فيها الضعف والخلاف. فاستغل التتار حالة الضعف للعودة بالإغارة مرة ثانية.

في زمن ابن تيمية؛ شاعت البدع والخرافات والفلسفة والانحرافات العقدية. وقال عنه الإمام الذهبى: (شيخنا، وشيخ الإسلام، وفريد العصر، علماً، ومعرفة، وشجاعة، وذكاء، وتنويراً إلهيّاً، وكرماً، ونصحاً للأمَّة، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، سمع الحديث، وأكثر بنفسه من طلبه وكتابته، وخرج ونظر في الرجال، والطبقات، وحصَّل ما لم يحصله غيره. أحيا الله به الشام والإسلام، بعد أن كاد ينثلم بتثبيت أولى الأمر لّا أقبل حزب التتار والبغي في خيلائهم، فظُنت بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، واشْرَأَب النفاق وأبدى صفحته. إن محاسن ابن تيمية كثيرة، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت : إني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه).

مضت حياة ابن تيمية بين العلم وتدريسه وبيانه للناس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد في سبيل الله. أما علمه فقد بلغ الآفاق ولا يحتاج الى شرح، ومصنفاته لم يتم حصرها، لكنها في قول ما بين السبعمائة الى التسعمائة مصنف متنوعة. منها ما هو في الفقه والتفسير والتوحيد والعقيدة. وقد اشتهر بردوده القوية الحجة المزلزلة بالحق على المخالفين للإسلام من المبتدعة والنصارى وغيرهم.

وأهمية عرض هذا المختصر عن ترجمته أن كثيرًا من منافقي الحكام كالجامية والمدخلية والبرهامية والرسلانية يستدلون من مؤلفاته! وهو برئ منهم ومن أفعالهم. فرحمه الله كان كالجبل الشامخ الذى لا تهزه رياح أي فتنة ولا ينافق حاكمًا ويجهر بالحق ويتحمل في سبيل الحق

البلاء ولا يتراجع بل يمضى قدمًا ثابتًا. فيما يعادي هؤلاء، من مخانيث الفكر والعمل، الثابتين على الحق الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر. وهم مثل من أطلق عليهم ابن تيمية وصف «خفراء التتار» الذين كانوا يتعاونون مع التتار تحت زعم أنهم يشهدون الشهادتين وهم يقتلون المسلمين ويعتدون على حرماتهم وينهبون أموالهم. فشيخ الإسلام ابن تيمية برئ من خفراء تتار العصر بصدعه بالحق وجهاده وثباته.

تعرض ابن تيمية بسبب ثباته على الحق وتبيانه لحكم الله فى مسائل العقيدة خاصة لابتلاء ومكائد كثير من المخالفين وتسببوا في سجنه مرات عديدة:

كانت أولاها سنة ٦٩٣ هجرية بعد أن اعتقله نائب السلطنة في دمشق لمدة قليلة بتهمة تحريض العامة، وسبب ذلك أن ابن تيمية قام بالإنكار على أحد النصارى الذي بلغه عنه أنه شتم النبي محمد ﷺ. ومن اللافت أن هذا الاعتقال لم يجعله يعلن توبته كما يفعل خفراء تتار العصر اليوم بل حثه على كتابة كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول.

في سنة ٧٠٥ هـ سُجن في القاهرة مع أخويه «شرف الدين عبد الله» و«زين الدين عبد الرحمن» مدة ثمانية عشر شهراً إلى سنة ٧٠٧ بسبب شكوى من مخالفيه لتبيانه للحق في مسألة العرش ومسألة الكلام ومسألة النزول. وفى سجنه كان يؤلف الكتب ويرد على الفتاوى ولا يتراجع تحت باب الممكن الذى جعله خفراء تتار العصر مثل صحراء

الربع الخالي وخرج من سجنه ثابتا لم يتراجع عما سجن بسببه رحمه الله.

بعد خروجه بأيام لم يجلس في بيته أو مسجده للدروس ويكتفى بل جهر بالحق وانتقد بشدة القائلين بوحدة الوجود مثل ابن عربي وابن سبعين والقونوى فاشتكاه معارضوه فسجن أيضاً لمدة أيام في شهر شوال ٧٠٧ هجرية.

تم الترسيم عليه في سنة ٧٠٩هـ مدة ثمانية أشهر في مدينة الإسكندرية. والترسيم عقوبة تعني الوضع تحت المراقبة بسبب فتاواه في التوحيد والعقيدة وعدم سكوته أو مداراة المخالفين ومداهنتهم. وخرج من الترسيم بعد عودة السلطان الناصر محمد بن قلاوون للحكم. وهو الذى عرف مكانته. وقد ذكرت بعض الكتب أن كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية كتبها للسلطان الناصر بن قلاوون، فلم يدفعه فضل السلطان أن يؤلف كتابا أو قصيدة في مدحه كما يفعل خفراء تتار العصر بل كتب له كتبه يوضح ويبين له السياسة الشرعية في الحكم بما يرضى الله تعالى.

في سنة ٧٢٠ هـ سُجن بسبب وشاية في «مسألة الحلف بالطلاق» نحو ستة أشهر. والملاحظ أن كل أسباب سجنه بسبب جهره بالحق فيما يراه حقًا من الشرع الحكيم.

كما سجن في سنة ٧٢٦ هـ حتى وفاته رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ بسبب وشاية أيضا بدون تحقيق حول مسألة «زيارة القبور وشد الرحال لها». والعجيب أن الوشاية كانت مخالفة لرأيه ولم يُسمع لدفاعه فهو يرى

عملًا بالنص أنه لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. ولكنهم في وشايتهم نفوا ذلك وهو في النهاية قدر الله ﷻ.

في كل وقائع سجنه رحمه الله لم يتوقف عن تأليف الكتب وتبيان الحق والرد على الفتاوى. ولم يتراجع ولو ذرة واحدة عما يعتقده حقا واجبا عليه كعالم أن يجهر به ويبينه للناس. لذلك كانت وفاته كما ذكر المؤرخون وهو يتلو قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرَ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

وخلاف السجن تعرض رحمه للمضايقات والكيد من مخالفيه وصلت الى ضربه من غلاة الصوفيه والمتكلمين بسبب عقيدته التي صرح بها في الفتوى الحموية في سنة ٦٩٨ هـ والعقيدة الواسطية في سنة ٧٠٥ هـ التي أثبت فيهما الصفات السمعية التي جاءت في الكتاب والسنة مثل اليد والوجه والعين والنزول والاستواء والفوقية، مع نفي الكيفية عنها. ولا ريب أن الجهل سبب سجن ابن تيمية من الحكام. فقد كانوا جهلة ويعتمدون على متعصبي المذاهب وغلاة الصوفية في دينهم. واشتهر عن ابن تيمية التسامح مع كل من كان يعادونه وتسببوا في سجنه منهم القاضي الذى سجنه ظلما (ابن مخلوف) الذى قال عن ابن تيمية:

ما رأيت كريماً واسع الصدر مثل ابن تيمية فقد أثرنا الدولة ضده، ولكنه عفا عنا بعد المقدرة، حتى دافع عن أنفسنا وقام بحمايتنا، حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا (أين قضاة

الظلم اليوم في المحاكم العسكرية والجزائية وأمن الدولة من ابن مخلوف مع مخالفيهم؟

وصدق الشيخ السبكيّ – أحد خصومه السابقين – حينما قال: والله ما يبغض ابن تيميه إلا جاهل أو صاحب هوى ، فالجاهل لا يدري ما يقول ، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به ... قال عنه تلميذه الإمام ابن قيم الجوزية :

وكنا إذا اشتد الخوف وساءت الظنون، وضاقت بنا الأرض بما رحبت، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب عنّا ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة.

من أقوال ابن تيميه المهمة

(ماذا يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما رحت فهي معي لا تفارقني، حبسي خلوة، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة).

من صور شجاعة ابن تيمية

أن رجلا شكا لابن تيمية أن الأمير قطلوبك ظلمه وأخذ ماله. وكان قطلوبك مشهور بجبروته فذهب اليه ابن تيمية ولم يهابه فقال قطلوبك مستهزئا به كنت أريد الذهاب اليك لأنك رجل زاهد، فقال

ابن تيمية: كان موسى خير من فرعون وكان يذهب إليه.

موقف آخر لإبن تيمية مع الوزير فخر الدين بن الخليل «أنهى إلى السلطان أن أهل الذمة قد بذلوا للديوان في كل سنة سبعمائة ألف درهم زيادة على الجالية، على أن يعودوا إلى لبس العمائم البيض المعلمة بالحمرة والصفرة والزرقة، وأن يعفوا من هذه العمائم المصبغة كلها بهذه الألوان التي ألزمهم بها ركن الدين الشاشنكير فقال السلطان للقضاة: ومن هناك: ما تقولون؟ فسكت الناس، فلما رآهم الشيخ تقي الدين سكتوا شرع يتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ، ويرد ما عرضه الوزير عنهم ردا عنيفا، والسلطان يسكته بترفق وتؤدة وتوقير، فبالغ الشيخ في الكلام وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله ولا بقريب منه، حتى رجع السلطان عن ذلك وألزمهم بما هم عليه واستمروا على هذه الصفة فهذه من حسنات الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله.

جهاد ابن تيمية

ابن تيمية العالم الفقيه لم ينزوِ بعلمه عن الأحداث ولم يقل إنه مشغول بالتأليف والرد العلمي على المبتدعة ولم يقل إن للجهاد رجاله وأنا رجل علم ولم يقل علينا الدعاء والاستغفار فقط ولم يقل أنا تابع لولى الأمر فإن جاهد دعونا له وإن لم يجاهد سمعا وطاعة بل كما جاءت سيرته وقال عنه البزّار: كان رضي الله عنه من أشجع الناس، وأقواهم قلبا، ما رأيت أحدا أثبت جأشًا منه، ولا أعظم غناء في جهاد العدو منه، كان

يُجاهد في سبيل الله بقلبه، ولسانه ويده لا يخاف في الله لومة لائم.

كانت (عين جالوت) ضربة موجعة للتتار وأعادتهم إلى الوراء، إلاّ أنها لم تنهِ طموحاتهم باحتلال الشام ومصر، والانتقام من المماليك، وظلت بلاد الشام مسرحا لاعتداءاتهم، خاصة مع انتشار الخلافات في صفوف المماليك، وجُبن بعض سلاطينهم، وفى هذه الفترة تم خلع الناصر قلاوون من الحكم وكان وقتها صغيرا وتولى الحكم كتبغا الذى نفي الناصر إلى قلعة في الشام ثم عاد الناصر مرة أخرى للحكم ولكن تم وقوع انقلاب عليه وتولى الحكم بيبرس جانشكير وكان غشوما ظلوما وعاد الناصر قلاوون للحكم مرة أخرى وكان صوفيا متدينا وحكم ما يزيد عن ثلاثين عاما كانت أفضل فترات مصر رخاء.

حتى نفهم عمق وربانية وشجاعة ابن تيمية رحمه الله، وقعت حادثة مهمة في حياة ابن تيمية. ألا وهى إعلان التتار إسلامهم، وهم على فسادهم وظلمهم. فتسببت الواقعة بارتباك في العقل العام المسلم ما بين ردعدوانهم من جهة، ودعوى ملك التتار قازان (ويُقال له أيضا: غازان)، وقومه إلى الإسلام، فظهر بين المسلمين مقولة أنه لا داعي لمقاومة التتار ما داموا قد أصبحوا مسلمين، وبأنه لا فرق بين التبعية للمماليك أو التتار حيث كان المماليك كتبغا وجانشكير وأتباعهم يظلمون للناس.

يقول الإمام ابن كثير في أحداث سنة ٦٩٤هـ: «وفيها أسلم ملك

التتر قازان بن أرغون... فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير نوروز، رحمه الله تعالى، ودخلت التتر أو أكثرهم في الإسلام، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم إسلامه، وتسمّى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة، وخرّب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية، وردّ مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد، وظهرت السُّبح والهياكل مع التتر، والحمد لله وحده».

فلنتوقف هنا مع رؤية مهمة تتشابه مع ما نعيشه اليوم من حكام يدعون الإسلام ويحاربون المسلمين. فبعض من الباحثين في التاريخ يرى أن إسلام قازان لم يكن سوى حيلة لتشتيت معسكر المسلمين وإضعافه، حيث إن (قازان) سياسيًا محنكًا وفكر في أسباب الهزائم المتكررة التي لحقت بالتتر، فمنذ موقعة عين جالوت إلى موقعة حمص والتتر في هزائم متكررة، فرأى أن الشعب الذى يحكمه مسلم وينظر إلى حكامه المغول الوثنيين نظرة ريبة فلا يتعاونون معهم في حروبهم ضد إخوانهم المسلمين، لذلك رأى أن أفضل حيلة يستطيع بها أن يكسب شعبه إلى صفه في حروبه ضد المماليك هي أن يعلن إسلامه...

ولكي يزيد من احتواء الشعب أظهر الفرح والسرور بذلك فنثر الذهب والفضة عليهم، وشهد الجمعة وصام رمضان، للإمعان في تضليل المسلمين تسمى باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق على نفسه اسم محمود غازان، وقام بالانتصاف للمسلمين من المسيحيين بعدما نالهم الأذى والاضطهاد في عهد سلفه) فنجحت خططه وتعاون

معه الشعب وانتصر في موقعة وادي الخازندار التي حدثت فيها مفاجأة. فقد تمت إشاعة خبر إسلام قازان فألقى جيش الشام ومصر بسلاحه لحرمة دماء المسلمين وانطلت الحيلة على المسلمين وهزمهم في موقعة وادى الخازندارسنة ٦٩٩هجرية ودخل ناس من المسلمين في خدمة التتار.

ولكن ما مارسه التتار من قتل وسرقة ونهب للمسلمين وانتهاك لحرمة بيوت الله، يفضح ادعاءهم الإسلام، فيقول المؤرخ المقريزي: «واتخذوا الجامع حانة يزنون ويلوطون ويشربون الخمر فيه...»

خلال تلك المعارك لم يفت ابن تيمية أن يقاتل طائفة أخرى اعتدت على المسلمين أثناء انسحابهم بعد هزيمتهم من التتار في موقعة الخازندار، هذه الطائفة هي شيعة كسروان المعروفين بالكسروانيين، يقول ابن كثير في أحداث سنة ٦٩٩هـ: «وفي يوم الجمعة العشرين من شوال ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان، وخرج الشيخ تقي الدين ابن تيمية ومعه خلق كثير من المطَّوِّعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسب فساد دينهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا؛ حين اجتازوا ببلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم، وأخذوا أسلحتهم وخيولهم وقتلوا كثيراً منهم.

فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقي الدين

ابن تيمية فاستتابهم، وبيّن لكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا بردِّ ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالاً كثيرة يحملونها إلى بيت المال، وأُقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله.

ثبات ابن تيمية وجهره بالحق في النوازل...

ظهرت حالة من التشكك في عقول الناس. فهم بين إعلان التتار إسلامهم وبين أفعالهم التي لا يقرها الإسلام من قتل ونهب وزنا واغتصاب وشرب خمر فقيّض الله للمسلمين ابن تيمية العالم الرباني فجهر بالحق بين الناس يرشدهم ويزيل ما التبس عليهم من أمر التتار وإسلامهم فكان رحمه الله يحرض الناس على جهاد التتار وعدم الخضوع لهم. يقول ابن كثير: «وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو، فإنهم يُظهرون الإسلام وليسوا بغاةً على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه.

فكان رد شيخ الإسلام ابن تيمية واضحًا جليًا فقال: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما

هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة، فتفطن العلماء والناس لذلك.

وقد وجهت إليه أسئلة متعددة من الناس عن تلك النازلة، منها سؤال مفصل يحكي شيئا مما وقع في ذلك الزمان وكأن السائل يسأل عن زماننا. فقال السائل: «ما تقول الفقهاء أئمة الدين في هؤلاء التتار الذين قدموا سنة تسع وتسعين وستمائة وفعلوا ما اشتهر من قتل المسلمين وسبي بعض الذراري والنهب لمن وجدوه من المسلمين وهتكوا حرمات الدين من إذلال المسلمين وإهانة المساجد لاسيما بيت المقدس، وأفسدوا فيها وأخذوا من أموال المسلمين وأموال بيت المال الحمل العظيم وأسروا من رجال المسلمين الجم الغفير وأخرجوهم من أوطانهم وادعوا مع ذلك التمسك بالشهادتين فهل يجوز قتالهم أو يجب وأيما كان فمن أي الوجوه جوازه أو وجوبه أفتونا مأجورين».

فما كان من ابن تيمية إلا أن بين حكم الله في هذه القضية بكل وضوح وبين وجوب قتال هؤلاء وأن قتالهم ليس مما يقع فيه الخلاف بين المسلمين، وبين أنه يجب على أمراء المسلمين وغيرهم الوقوف ضد هؤلاء المعتدين ومحاربتهم وأكد على أن قتالهم من الجهاد في سبيل الله، وجمع النصوص الشرعية المتعلقة بالجهاد والمبينة لفضله وشرح وفصل وأصل وبين كثيرا من المسائل الشائكة المتعلقة بقتال أولئك الأعداء على تفصيل موجود في كتبه تحت باب قتال الطائفة الممتنعة.

ويلخص ابن فضل العُمري ما حصل من ابن تيمية فيقول:

«وحكي من شجاعته في مواقف الحرب نوبة شقحب ونوبة كسروأن ما لم يُسمع إلا عن صناديد الرجال وأبطال اللقاء وأحلاس الحرب تارة يباشر القتال، وتارة يحرض عليه، وركب البريد إلى مهنا بن عيسى واستحضره إلى الجهاد، وركب بعدها إلى السلطان واستنفره.

٣- شجاعة ابن تيمية في مواجهة ملك التتار قازان درس لأولئك الشيوخ الذين يداهنون أعداء الإسلام ويتزلفون إليهم وهم يعلنون عداءهم للإسلام. فحين توجه قازان إلى الشام وقصد غزوها توجه إليه ابن تيمية مع عدد من علماء المسلمين ووجهائهم يحذرونه من مغبة فعله وكان مما قال له ابن تيمية : «أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاضٍ وإمام وشيخ على ما بلغنا، فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟! وأبوكَ وجدك هلاكو كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام، بل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت».

وحذره من قتل المسلمين وأخذ أموالهم، وحين قدّم لهم الطعام أبى ابن تيمية الأكل منه، فقيل له: ألا تأكل؟! فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتموه من أغنام المسلمين، وطبختموه بما قطعتموه من أشجارهم.(اليوم تنشر صور شيوخ السلاطين على موائد الحكام الطغاة وهم يبتسمون).

وكان في أثناء حديثه لغازان يرفع صوته ويقترب منه حتى كادت ركبته تلاصق ركبة السلطان يحذره ويخوفه، فخافه السلطان وأنصت له،

وحين خرجوا من عنده قال له أصحابه: «كدت تهلكنا وتهلك نفسك».

هكذا ضرب ابن تيمية أروع الأمثلة في مواجهة الأمراء المستخفين بأموال المسلمين ودمائهم. أين ابن تيمية الآن؟ يرى الذين يدعون انتسابهم لعلمه زورًا وهم ينافقون بالتقرب إلى أعداء الإسلام.

التحريض على الجهاد والوقوف مع الناس وذلك حين انزعج الناس سنة ٧٠٠ هـ من توجه التتار إلى بلاد الشام وأخذوا يبيعون متاعهم ويتأهبون للهرب، قام ابن تيمية بمجلسه في الجامع وحرض الناس على القتال وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في فضل الجهاد ووجوبه، ونهى عن الإسراع في الفرار ورغب في إنفاق أجرة الهرب في الجهاد، وأوجب جهاد التتار وألزم به. وتوجه إلى العسكر القادم من حماة فاجتمع بهم، وحثهم وثبتهم ورفع من معنوياتهم، وبين الأجر العظيم الذي وُعدوا به.

وكان يذهب إلى المجاهدين في سبيل الله ويجتمع بهم كثيرًا ويبيت عندهم ويعظهم ويقوي من جأشهم، ويعدهم بالنصر ويبشرهم الغنيمة ويذكر لهم ما ينتظرهم من الجزاء عند الله في الجنة، بل إنه في بعض المواقف يقسم لهم ويقول: والله إنكم منصورون، فيقولون له: قل: إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا.

وابن تيمية في هذا الموقف يكشف لنا بأن الدور المهم الذى يجب أن يقوم بها العلماء ليس في إلقاء الخطب والكلمات وحث الناس على

التبرع في الصندوق أمام المسجد فقط! وإنما هناك أعمال أخرى يحتاجها المسلمون في النوازل في أرض الجهاد في أرض الميدان مع المجاهدين ليشعروا بصلاح جهادهم فتقوى عزائمهم وتثبت قلوبهم.

٥- ابن تيمية مجاهد بنفسه. في هذا المشهد يشارك ابن تيمية العالم الجليل المجاهدين بنفسه راكبا الخيل وهو مشهد يرفع من معنويات المجاهدين في سبيل الله و يقوي من عزائمهم.

وذلك حين جاء التتار بجيوشهم إلى الشام سنة ٧٠٢هـ وبينما يستعد جيش الشام ومصر لملاقاة التتار انتشرت أراجيف المرجفون، وقد أخذ المخذلون دعاة الهزيمة والتردد ينشرون الفزع في القلوب، أما ابن تيمية فكان يثبت القلوب ويعدهم بالنصر والغلبة، تاليًا عليهم قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (الحج: ٦٠). حتى إنه كان يحلف بالله: إنكم لمنصورون، فيقول بعض الأمراء له: قل إن شاء الله، فيقول: أقولها تحقيقًا لا تعليقًا، فاطمأنت القلوب وسكنت النفوس، ولكن دعاة الهزيمة أغوات كل زمان أتوا الناس من ناحية أخرى متذرعين بقولهم: كيف نقاتل المسلمين؟؟ إن ذلك ليس بجائز شرعًا.

ورغم أن ابن تيمية شرح ذلك وفند تلك المزاعم إلا أنه لم يتركهم ينشرون تخذيل المجاهدين فكرر فتواه فقال: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما. وهؤلاء

يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والمظالم، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة.

ثم قال بوضوح: «إذا رأيتموني في ذلك الجانب - أي مع التتار - وعلى رأسي مصحف فاقتلوني»، فتحركت قلوب الصادقين وثارت مشاعرهم الإسلامية ، ثم امتطى رحمه الله صهوة جواده وخرج إلى ميدان القتال محاربًا ومحرضًا ، فما كان لمثله أن يدعو إلى الثبات في الجهاد، وهو ينكص على عقبيه ، بل تقدم الجموع رحمه الله لينال الشهادة في سبيل الله ورفع راية الإسلام .

وذهب إلى (مرج الصفر) وهو مكان قريب من دمشق وابتدأت الموقعة التي تسمت في التاريخ بموقعة (قجب)، وذلك في شهر رمضان سنة ٧٠٢ هـ، وتلاقى الجمعان، ووقف العالم المجاهد مقاتلاً، يثبت القلوب من حوله بقتاله وفعاله، وقد اجتمع بالسلطان قبل الموقعة، يحثه على الجهاد والقتال، ورد المعتدين الآثمين، حيث بلغه أن السلطان متردد في القتال.

وقد تأخر عن الخروج بالجيوش ضد التتار في الشام وتلكأ عن نصرة المسلمين توجه إليه ابن تيمية حتى وصل مصر واستحث السلطان ومن معه على القتال والجهاد في سبيل الله، وقال للسلطان عبارة قوية وصريحة جدًا: «إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايتها أقمنا سلطانًا

يحوطه ويحميه (وهنا كلام واضح من ابن تيمية بعزل السلطان إن لم يخرج للجهاد وشيوخ السلاطين اليوم يتآمرون مع الملوك والرؤساء لتثبيط الناس عن مجاهدة أعداء الإسلام بل يصدرون الفتاوى لتجميل الأعداء وأن مقاومة عدوانهم إرهاب وأن من يقاوم الاعتداء خارجى على السلطان الموالى لأعداء الإسلام وإنا لله وإنا إليه راجعون).

واستطرد ابن تيمية في كلام صريح وواضح للسلطان: «لو قُدر أنكم لستم حكام الشام وملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر أفكيف وأنتم حكامه وسلاطينه؟ فما كان من السلطان إلا أن تحمس وطلب منه أن يقف بجانبه في المعركة .فقال شيخ الإسلام: «السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ، ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معه».

وكانت المعركة في أول شهر رمضان فذهب ابن تيمية للجنود وأمرائهم يحثهم على الإفطار ليتقووا على القتال، وكان يروي لهم قول النبي ﷺ للصحابة الكرام في غزوة الفتح : «إنكم ملاقو العدو والفطر أقوى لكم». وكان رحمه الله يدور على الأجناد يأكل معهم من شيء معه، ليبين أن إفطارهم أفضل ليقووا به على القتال.

ووقعت المعركة واشتد القتال، واشترك فيها ابن تيمية مجاهدا بسيفه، ووقف هو وأخوه موقف الموت، وأبلوا بلاءً حسنًا، وصدق أهل الشام وجند مصر ما عاهدوا الله تعالى عليه، فاستمر القتال طوال اليوم الرابع من رمضان، حتى إذا جاء العصر أذن الله تعالى بالنصر، فظهر

جند مصر والشام، وانحسر جند التتار، وهربوا إلى الجبال والتلال، والجنود وراءهم يضربون أقفيتهم، ويرمونهم عن قوس واحدة، حتى انبلج الفجر، ونادى المنادي: الله أكبر، حي على الصلاة.

وبذلك الإعلان بالنصر انكشفت غمة وخطر التتار، فكانت هزيمة منكرة، منيوا فيها بالخسران المبين، ولم تقم لهم بعدها قائمة.

هذه نبذة يسيرة من ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية الذى يحاول المرجفون وخونة العلم وأدعياء السلفية زورا أن ينتسبوا إلى علمه بخطف كلمة من هنا أوهناك ووضعها في غير سياقها ليدللوا على اتباعهم لابن تيمية وهو برئ منهم ومن خيانتهم لله ولرسوله. فلو كانوا صادقين في العلم لأتبعوا العلم العمل كما عمل ابن تيمية وجهروا بالحق أمام كل سلطان جائر وبينوا للناس صحيح دينهم وأعلنوا الجهاد لأعداء الإسلام دفاعًا عن دينهم وعن الحرمات ولكنهم في بئر الخيانة سقطواوبحنظل النفاق والمداهنة والفتاوى المضللة للناس عاشوا وهم أموات وصدق ابن تيمية في وصفهم خفراء التتار نعم خفراء التتار الجدد هم شيوخ السلطان في بلاد العرب والمسلمين من المداخلة والجامية والرسلانية والبرهامية ومن تابعهم وشابههم وشايعهم. أما الأحياء هم من في مثل ابن تيمية رضى الله وأرضاه وأسكنه الفردوس الأعلى توفى الى رحمه الله ورضوانه عام ٧٢٨هجرية.

مصلحة الدعوة

ونتوقف مع نقطة أخرى في طريق العلماء والدعوة، وهي وهم تحقيق المصلحة، الذي بسببه يتنازلون عن كلمة الحق ويغضون الطرف عن الباطل، فيقول سيد قطب في الظلال في قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾[الحج: ٥٢ - ٥٣]

(وقد تدفع الحماسة والحرارة أصحاب الدعوات - بعد الرسل - والرغبة الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها، تدفعهم إلى استمالة بعض الأشخاص أو بعض العناصر، بالإغضاء في أول الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة يحسبونه هماً ليس أصيلاً فيها، ومجاراتهم في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة ويخاصمونها!

وقد تدفعهم كذلك إلى اتخاذ وسائل وأساليب لا تستقيم مع موازين الدعوة الدقيقة، ولا مع منهج الدعوة المستقيم، وذلك حرصاً على سرعة انتصار الدعوة وانتشارها، واجتهاداً في تحقيق **مصلحة الدعوة!** ومصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير، أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله، فلا يجوز أن يحسب

حملة الدعوة حساب هذه النتائج، إنما يجب أن يمضوا على نهج الدعوة الواضح الصريح الدقيق، وأن يدعوا نتائج هذه الاستقامة لله، ولن تكون إلا خيرًا في نهاية المطاف.

وها هو ذا القرآن الكريم ينبههم إلى أن الشيطان يتربص بأمانيهم تلك لينفذ منها إلى صميم الدعوة، وإذا كان الله قد عصم أنبياءه ورسله فلم يمكن للشيطان أن ينفذ من خلال رغباتهم الفطرية إلى دعوتهم، فغير المعصومين في حاجة إلى الحذر الشديد من هذه الناحية، والتحرج البالغ، خيفة أن يدخل عليهم الشيطان من ثغرة الرغبة في نصرة الدعوة والحرص على ما يسمونه **مصلحة الدعوة**.

إن كلمة **مصلحة الدعوة** يجب أن ترتفع من قاموس أصحاب الدعوات لأنها مَزلة، ومدخل للشيطان يأتيهم منه، حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص! ولقد تتحول **مصلحة الدعوة** إلى صنم يتعبده أصحاب الدعوة وينسون معه منهج الدعوة الأصيل.

إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على نهجها، ويتحروا هذا النهج دون التفات إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج، قد يلوح لهم أن فيها خطراً على الدعوة وأصحابها! فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتقوه هو خطر الانحراف عن النهج لسبب من الأسباب، سواء كان هذا الانحراف كثيراً أو قليلا، والله أعلم منهم بالمصلحة وهم ليسوا بها مكلفين، إنما هم مكلفون بأمر واحد، ألا ينحرفوا عن المنهج، وألا يحيدوا عن الطريق).

الإمام السرخسي

ننتقل إلى قصة عجيبة ونادرة فيها درس عظيم للفقهاء الذين يقدمون الفتاوى بتسهيل كل شيء، بدون ضابط من شرع الله، خاصة إذا كانت الفتوى للحاكم.

إنه الإمام السرخسي رحمه الله العالم الفقيه النادر في زمانه وكل الأزمان، فبسبب فتوى وكلمة حق اعتقل ١٥ عاماً، قصة معتقل إسلامي من ألف عام، إنه الإمام السرخسي من أكابر علماء الإسلام والمذهب الحنفي.

هو أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السَّرَخْسي رحمه الله من أكابر فقهاء المذهب الحنفي، بلده سَرَخْس - بفتح السينَ والراء - وهي مدينة قديمة بين مَرْو ونيسابور، فتحها عبد الله بن حازم السلمي الأمير من جهة عبد الله بن عامر بن كربز، زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه. مولده ونشأته: ولد في سرخس، وانتقل إلى أوزكند، وهي بلدة في ما وراء النهر من نواحي فرغانة، وانتقل إلى بلاط خاقانها (قصر الحكم).

محنته: بسبب كلمة حق لله كان فيها من الناصحين، سالكاً فيها طريق الراسخين، صادعاً بالحق لتكون له ذخراً إلى يوم الدين، ألقي به في السجن سنة (٤٦٦هـ)، فقد طلب منه الملك فتوى بالزواج قبل العدة، فكان رد السرخسي أن أفتى بأن زواج الخاقان (الملك بلغة الترك) بعتيقته قبل أن تمضي عدّتها حرام.

(لم يتردد السرخسي في كلمة الحق والفتوى، رغم أنها كانت ضد رغبة الملك، والآن كثيرون في بلاد المسلمين يُفَصِّلُونَ الفتاوى تفصيلًا التي تخالف الشرع؛ لإرضاء ملك في الأرض، ولا يخافون ملك السماوات والأرض، ومنهم من يحرف كلام الله وأحكامه كي يرضى عنه الرئيس أو الملك بمنصب أو عطية).

غضب الحاكم من الإمام السرخسي وأمر باعتقاله وسجنه، وقضى في السجن خمسة عشر عاماً، وفي السجن لم يمض وقته في الحزن أوقام بعمل تغيير للفتوى بما يرضي الملك، أوقدم توبة للملك ومراجعات عصرية كي يفك أسره، لا لا بل استعان بالله وجاهد بما يستطيع وهو في السجن، واستغل وقته وجاهد بعلمه، فأملى الإمام السرخسي كتاب المبسوط في خمسة عشر مجلدا، وأملى شرح السير الكبير للشيباني في مجلّدين.

فلما بلغ كتاب الشروط أطلق سراحه، فذهب إلى مرغينان في ربيع الأوّل سنة (٤٨٠هـ)، وأتم شرح السير الكبير في جمادى الأولى من السنة نفسها.

قال في المبسوط عند فراغه من شرح العبادات:

(هذا آخر شرح العبادات بأوضح المعاني، وأوجز العبارات، إملاء المحبوس عن الجمعة والجماعات)، وقال في آخر كتاب الطلاق: (هذا آخر كتاب الطلاق المؤثر من المعاني الدقاق، أملاه المحبوس عن الانطلاق المبتلى بوحشة الفراق، مصلياً على صاحب البراق، صلى الله عليه وآله

وصحبه أهل الخير والساق، صلاة تتضاعف وتدوم إلى يوم التلاق، وقال في آخر كتاب العتاق:

(انتهى شرح العتاق من مسائل الخلاف والوفاق، أملأه المستقبل للمحن بالاعتناق المحصور في طرق من الآفاق حامداً للمهيمن الرزاق، ومصلياً على حبيب الخلاق، ومرتجي إلى لقائه بالأشواق وعلى آله وصحبه خير الصحب والرفاق).

وقال في آخر شرح الإقرار: (انتهى شرح كتاب الإقرار المشتمل من المعاني ما هو سر الأسرار، وإملاء المحبوس في موضع الأشرار، مصلياً على النبي المختار).

أفرج عنه عام (٤٨٠ هـ) ، وتوفي عام (٤٩٠هـ) رحمه الله.

مصنفاته:

«المبسوط» في الفقه في نحو خمسة عشر مجلدا، إملاء من خاطرته، من غير مطالعة كتاب ولا مراجعة تعليق.

كتاب في أصول الفقه جزآن ضخمان (مطبوع).

«شرح السير الكبير» في جزأين ضخمين، أملاهما وهو مسجون في الجب، فلما وصل إلى باب الشروط حصل الفرج، فأطلق فخرج في آخر عمره فأكمل إملاءه بعد خروجه(وهو مطبوع).

ويعتبر من أفضل وأول كتاب في القانون الدولي الإسلامي في

العالم، وترجم الى لغات عديدة، واعتمد عليه آلاف العلماء والباحثين في القانون والعلاقات الدولية في العالم، وهو كتاب يعد مفخرة للمسلمين على العالم كله، فلم يكن يوجد في العالم كله قانون للعلاقات الدولية والسلم والحرب.

وقد طبعته جامعة الدول العربية عدة طبعات من خمسة وثلاثين عاماً، ويحتاج الكتاب إلى شرح جديد بإسقاط على الواقع المعاصر؛ لما فيه من علم ورؤية وقواعد شرعية عظيمة. رضي الله عن الإمام السرخسي.

* * *

الشيخ آق شمس الدين

بعض العلماء تجدهم على موائد الحكام الطغاة الذين يجب التبرؤ منهم ومجاهدتهم والإنكار عليهم، ولكنهم لاينصحونهم ولا يعلمونهم الحق ولاينكرون عليهم، ويكتفون بصورة مع الحاكم وتبرير أنهم يقللون المفاسد، والعجيب أن المفاسد بجلوسهم وعدم إنكارهم.

والحكام الطغاة يتمتعون بسخرة هؤلاء العبيد، ولم نجد في التاريخ المعاصر الآن فيما أعلم عالماً ساعد في تعليم حاكم شرع الله أو هداه للحق.

وقصتنا مع عالم ربى أكبر حاكم مجاهد وفاتح في التاريخ القريب، إنه فاتح القسطنطينية وبلاد أوروبا، الذي ارتعبت من فتوحاته بلاد الكفر، وبعض علماء اليوم يتقربون لحكام يفتحون بلاد المسلمين للكفار، ويقدمونها قربانًا للكفار.

* * *

عالم يرتعش منه السلطان

آق شمس الدين رحمه الله الفاتح الروحي لاسطنبول (القسطنطينية)، فمن هو؟

إنه الشيخ (آق شمس الدين)، أحد أبرز أعلام العلم والجهاد والحضارة الإسلامية في العهد العثماني.

هو الشيخ (محمد شمس الدين بن حمزة)، ويتصل نسبه إلى الخليفة الراشد (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه، وهو أستاذ السلطان (محمد الفاتح)، والفاتح المعنوي لمدينة إسطنبول.

ولد آق شمس الدين في دمشق عام (١٣٨٩م)، وحفظ القرآن وهو في السابعة من عمره ثم انتقل مع عائلته إلى أماسيا، اهتم الشيخ آق شمس الدين بالعلم منذ صغر سنه، ودرس في أماسيا ثم في حلب ثم في أنقرة، وكرس حياته للعلم حتى غدا من العلماء المشهورين في مجال العلوم الاسلامية، وزاد عليها في الطب والفلك وعلم الأحياء والرياضيات، وبعدما أكمل دراسته اتخذ مكانه بين العلماء العظماء، فأصبح أحد كبار علماء عصره، وعمل في المدارس العثمانية لسنوات طويلة، فنشأ على يده مئات الطلاب من المبدعين.

بدأت شهرته عندما كان مدرساً للسلطان (محمد الثاني)، حيث بقي قائماً على تدريس السلطان (محمد الفاتح) حتى بلغ أشده، فتعلم

الفاتح على يده العلوم الأساسية كالقرآن الكريم والسنة النبوية والفقه واللغات (العربية والفارسية والتركية)، وعلم الفلك والرياضيات والتاريخ، وهو الذي كان يحمسه ويذكره بفتح القسطنطنية، لذا فقد كان له تأثيراً بالغاً على توجهات محمد الفاتح عسكرياً وثقافياً.

نعم المربي الشيخ آق شمس الدين، هو الباني الأول لقلب وعقل السلطان محمد الفاتح، والذي لم يكن تجاوز العاشرة عندما كان أستاذه يمسك بيده ويمشيان معاً على شاطئ البحر المحيط بأسوار القسطنطينية الحصينة، ثم يقول له الأستاذ: (أترى هذه الأسوار الشاهقة والمدينة العظيمة؟ إنها القسطنطينية، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن رجلاً من أمته سيفتحها بجيشه ويضمها إلى أمة التوحيد: فقال ﷺ: لَتَفْتَحْنّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش).

(علماء السلطان اليوم يقومون بمدح الحكام الذين يدمرون بلاد المسلمين، كما تجد منهم في الإمارات التي دعمت الحرب على مالي وليبيا وانقلاب عسكر مصر والانقلاب المهزوم في تركيا).

كان آق شمس الدين زراعاً للخير، بصيراً بمكامن النفوس وكان يتوجه إلى الله ألا يضيِّع له جهداً في تربية الأمير الصغير محمد، **(والذي صار بعد سنوات: السلطان محمد الفاتح).**

وعندما أصبح الأمير محمد سلطاناً على الدولة العثمانية وجهه آق شمس الدين على الفور للتحرك بجيوشه لفتح القسطنطينية،

فكان له مساهمة مباشرة وغير مباشرة في فتح اسطنبول، حيث شارك آق شمس الدين بنفسه، وأخذ أبناءه وطلابه وتلاميذه في جيش الفتح العظيم، ولم يقل لهم إنكم طلبة علم، فعليكم بالدروشة والانكفاء على الكتب، بل أخذهم للجهاد، فهو مدرسة العلم الحقيقية، وهناك لُقب باسم (الفاتح الروحي لمدينة إسطنبول).

ونتوقف مع الفتح، فقد سبقه تربية وإعداد، فقد كان السلطان مراد الثاني والد الأمير محمد يصطحبه إلى بعض المعارك، ليبني في نفسه روح المجاهد ونفسية القائد، وليتعلم قيادة الجيش وفنون القتال عملياً، حتى إذا ما ولي السلطنة وخاض غمار المعارك كان له القدح المعلى فيها.

ولما جاء اليوم الموعود شرع السلطان محمد الفاتح في مفاوضة الإمبراطور قسطنطين ليسلمه القسطنطينية، فلما بلغه رفض الإمبراطور تسليم المدينة، قال رحمه الله: (حسناً، عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر).

وحاصر السلطان القسطنطينية واحداً وخمسين يوماً، وبعدها سقطت المدينة الحصينة التي استعصت على الفاتحين قبله، على يد بطل شاب له من العمر ثلاث وعشرون سنة.

وهنا نتوقف مع موقف لاينسى سجله التاريخ، أثناء فتح القسطنطينية أراد السلطان أن يكون شيخه جانبه أثناء الهجوم فأرسل

إليه يستدعيه، لكن الشيخ كان قد طلب ألا يدخل عليه أحد الخيمة، ومنع حراس الخيمة رسول السلطان من الدخول، وغضب محمد الفاتح وذهب بنفسه إلى خيمة الشيخ ليستدعيه، فمنع الحراس السلطان نفسه من دخول الخيمة بناءً على أمر الشيخ.

(ماذا فعل السلطان؟، وهو السلطان، هل ضرب الحراس أو قبض عليهم، أبدا امتثل لأمر شيخه ولكنه تحايل).

فأخذ محمد الفاتح خنجره، وشق جدار الخيمة في جانب من جوانبها، ونظر إلى الداخل، فإذا بشيخه آق شمس الدين ساجدًا لله في سجدة طويلة، وعمامته متدحرجة، من على رأسه، وشعر رأسه الأبيض يتدلى على الأرض، ولحيته البيضاء تنعكس مع شعره كالنور، ثم رأى السلطان شيخه يقوم من سجدته والدموع تنحدر على خديه، فقد كان يناجي ربه ويدعوه بإنزال النصر ويسأله التمكن و الفتح القريب.

عاد السلطان محمد الفاتح عقب ذلك إلى مقر قيادته ونظر إلى الأسوار المحاصرة، فإذا بالجنود العثمانيين قد أحدثوا ثغرات بالسور، تدفق منها الجنود إلى القسطنطينية، ففرح السلطان بذلك وقال: ليس فرحي لفتح المدينة فقط إنما فرحي بوجود مثل هذا الرجل في زمني.

وذكر الإمام الشوكاني: صاحب «البدر الطالع» ما يلي مما حصل بعد يوم واحد من الفتح، فقد جاء السلطان إلى خيمة آق شمس الدين

وهو مضطجع فلم يقم له، فقبل السلطان يده وقال له: جئتك لحاجة، قال: وما هي؟ قال: أن أدخل الخلوة عندك، فأبى، فأبرم عليه السلطان مراراً وهو يقول: لا، فغضب السلطان وقال: إنه يأتي إليك واحد من الأتراك فتدخله الخلوة بكلمة واحدة، وأنا تأبى علي، فقال الشيخ: إنك إذا دخلت الخلوة تجد لذة تسقط عندها السلطنة من عينيك فتختل أمورها فيمقت الله علينا ذلك.

(انظروا إلى فقه وحكمة الرجل، إنه يخشى أن يزهد السلطان في الحكم ويتدروش، فلايقوم بمهام الحكم من قوة).

الغرض من الخلوة تحصيل العدالة، فعليك أن تفعل كذا وكذا، وذكر له شيئاً من النصائح، ثم أرسل السلطان إليه ألف دينار فلم يقبل، ولما خرج السلطان محمد الفاتح من عند الشيخ قال لبعض من معه: ما قام الشيخ لي، فقال له: لعله شاهد فيك من الزهو بسبب هذا الفتح الذي لم يتيسر مثله للسلاطين العظام، فأراد بذلك أن يدفع عنك بعض الزهو.

وبعد الفتح العظيم للقسطنطينية كان الشيخ آق شمس الدين أول من يلقي خطبة للجمعة في مسجد آيا صوفيا، وهنا يقول السلطان محمد الفاتح: (إن أعظم لحظة في حياتي ساعة أن صعد شيخي ومعلمي آق شمس الدين، وخطب أول جمعة في أيا صوفيا).

كان الشيخ محبوباً لدى الفاتح، وقد عبّر الفاتح عن احترامه له

بقوله: (إن احترامي للشيخ آق شمس الدين، احترام غير اختياري، وإنّني أشعر وأنا بجانبه بالانفعال والرهبة).

لم يحتل أحد في قلب محمد الفاتح مكانة مثلما احتلها أستاذه آق شمس الدين، أما آق شمس الدين فكان مهيباً لا يخشي سوى الله، لذا كان عند قدوم السلطان لزيارته لا يقوم له من مجلسه، أما عند زيارته للسلطان فقد كان السلطان يقوم له من مجلسه، توقيراً له واحتراماً ويجلسه بجانبه، حتى لاحظ ذلك وزراء السلطان وحاشيته، حتى أبدى الصدر الأعظم محمود باشا دهشته للسلطان، فقال له: لا أدري يا سلطاني العظيم، لم تقوم للشيخ آق شمس الدين عند زيارته لك، من دون سائر العلماء والشيوخ، في الوقت الذي لا يقوم لك تعظيماً عند زيارتك له؟

فأجابه السلطان: أنا أيضاً لا أدري السبب، ولكني عندما أراه مقبلاً علي، لا أملك نفسي من القيام له، أما سائر العلماء والشيوخ، فإني أراهم يرتجفون من حضوري، وتتلعثم ألسنتهم عندما يتحدثون معي، في الوقت الذي أجد نفسي أتلعثم عند محادثتي الشيخ آق شمس الدين.

هكذا كان الشيخ آق شمس الدين لا يخشى في الله لومة لائم، فلم يكن ذاك العالم الذي يرتجي رضوان السلطان من دون الله ككثير من علماء هذا العصر، الذين لا شاغل لهم سوى منافقة السلطان، متاجرين

في الدين، لايقولون إلاما يُرضي الحكام، إنما كان ذا كلمة حق، وبمثله تنهض الأمة الإسلامية وتعلو راية الحق.

عاد الشيخ آق شمس الدين بعد ست سنوات من فتح القسطنطينية إلى موطنه جونياك، بعد أن أحس بالحاجة إلى ذلك رغم إصرار السلطان على بقائه في اسطنبول فمات عند وصوله عام (٨٦٣ هـ / ١٤٥٩ م).

رحم الله الشيخ آق شمس الدين العالم المجاهد، ورحم الله محمد الفاتح، الحاكم المسلم المجاهد، فاتح القسطنطنية، ورزقنا مثلهما.

* * *

الخاتمة

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

يقول الشيخ محمد صالح المنجد، في شرحه تلك الآية:

(عباد الله، إن أضرار عدم البيان شنيعة، منها: خفوت دين الله، وخفاء الحق، واستشراء المنكر؛ لأنه لم يُبيَّن فهو يستشري وينتشر، ومنها: خذلان أهل الحق، ولو بُيِّن لانتعش أهل الحق وانتصر أهل الحق، وكان ذلك دعماً لهم، ومن أكبر المصائب لعدم التبيين وقوع العامة في الضلال، ويتخذ الناس رؤوساً جهالاً يفتون بغير علم فيضلون ويضلون).

وكان الإمام أحمد رحمه الله يعلم موقعه في الأمة، وأن الناس ينظرون إليه، ولذلك لما طلب منه القول بخلق القرآن أَبىٰ، ولما هدد بالقتل، وقال له تلميذه: يا أُستاذ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [النساء: ٢٩].

قال: يا مروذي اخرج فانظر، فخرج إلى الساحة

قال: فرأيت خلقاً لا يحصيهم إلا الله، والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر، قال لهم المروذي: ماذا تعملون؟

قالوا: ننظر - أي: ننتظر- ما يقول أحمد فنكتبه، قال خلق القرآن نكتب بخلق القرآن، قال بعدم خلق القرآن نكتب بعدم خلق القرآن، فقال الإمام أحمد: يا مروذي أضل هؤلاء كلهم؟

قصة العالم الذي ثبت ورفض التدليس على الناس.

نقل ابن كثير رحمه الله عن وهب، أنه أتي رجل من أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحم الخنزير، فأعظم الناس مكانه وهالهم أمره، وهذا الرجل كان عالماً شريفاً يحبه الناس، والملك يريد أن يفتن الناس على أكل لحم الخنزير، وأشفق الناس على هذا العالم.

فقال له صاحب شرطة الملك سراً بينه وبينه: أيها العالم اذبح جدياً مما يحل لك أكله ثم ادفعه إليَّ حتى أصنعه لك على حدة، فإذا دعا الملك بلحم الخنزير أمرت به فوضع - أي الجدي - بين يديك، فتأكل منه حلالاً، ويرى الملك والناس أنك إنما أكلت لحم الخنزير.

فذبح ذلك العالم جدياً ثم دفعه إلى صاحب الشرطة، فصنعه له وأمر الطباخين إذا أمر الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم الخنزير أن يضعوا بين يديه لحم ذلك الجدي، واجتمع الناس لينظروا أمر هذا العالم هل يأكل أم لا، وقالوا: إن أكل أكلنا وإن امتنع امتنعنا.

فجاء الملك فدعا لهم بلحوم الخنازير فوضعت بين أيديهم ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجدي الحلال المذكَّى، فألهمه الله فقال:

هب أني أكلت لحم الجدي الذي أعلم حله أنا، يقول لنفسه، فماذا أصنع بمن لا يعلم؟ والناس إنما ينتظرون أكلي ليقتدوا بي، وهم لا يعلمون إلا أني إنما أكلت لحم الخنزير، فيأكلون اقتداء بي فأكون ممن يحمل أوزارهم يوم القيامة، لا أفعل والله وإن قتلت وحرقت بالنار.

وأبى أن يأكل، فجعل صاحب الشرطة يغمز إليه ويومئ إليه ويأمره بأكله، أي: إنما هو لحم الجدي فأبى أن يأكل، ثم أمره الملك أن يأكل فأبى، فألحوا عليه فأبى، فأمر الملك صاحب الشرطة بقتله، فلما ذهبوا به ليقتلوه، قال له صاحب الشرطة: ما منعك أن تأكل اللحم الذي ذكيته أنت ودفعته إلي، أظننت أني أتيتك بغيره وخنتك فيما ائتمنتني عليه؟

قال له العالم: قد علمت أنه هو، ولكن خفت أن يتأسى الناس بي، وهم إنما ينتظرون أكلي منه، ولا يعلمون إلا أني إنما أكلت لحم الخنزير، قال: وكذلك كل من أريد على أكله فيمن يأتي من الزمان، يقول: قد أكله فلان، فأكون فتنة لهم، فقتل رحمه الله.

ونقل ابن كثير بعدها العبارة: (اتقوا زلة العالِم فإنه إذا زل، زل بزلته عالَم).

إن بيان الحق أمر عظيم، وخصوصاً في هذا الزمان الذي كثر فيه الجهل وقل فيه العلم، وكثر فيه أهل الباطل ونعيقهم.

وقد قال عمر بن عبد العزيز لما تولى الخلافة في زمن عافية الأمة

وقوتها، قال: إني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، هاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره، فهو يستشعر عظم المسئولية، كيف سيغير الآن في واقع انحرافات ظنها الناس حقاً، فماذا نقول نحن عن عصرنا؟

وأَخيرًا لن تقوم لأُمة الإسلام قائمة إلَّا إذا قام العلماء برسالة الله صادعين بالحق لايخشون لومة لائم.

اللَّهم! أَرنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتباعه، وأَرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللَّهم نسألك قول الحق والعمل به.

الحمد لله رب العالمين.

كتبه العبد الفقير إلى الله

ممدوح إسماعيل

اسطنبول دار الهجرة (الحديثة)

الفـــهرس

المقدمة..... ٥
يا علماء السلاطين وشيوخ الطغاة
لاسمع وطاعة لكافر أو طاغية..... ٨
وقفات مع نفاق العلماء خدم الطغاة وحالة انتكاس العلماء.....٢٥
أسباب السقوط في نفاق الحكام.....٣٣
١ – فساد العقيدة.....٣٣
٢– فساد القلوب.....٣٥
٣– فساد التربية.....٣٢
التابعي الجليل سعيد بن جبير.....٤١
الإمام أحمد بن حنبل.....٤٩
تعريف بالإمام.....٥١
محنة الإمام.....٥٤
الإمام أحمد بن نصر الخزاعي.....٦٥
آية في عقاب الله للظالمين.....٧٣
الإمام البويطي.....٧٦
الدرس العظيم في المحنة والثبات.....٧٩
وقفات مع فتنة خلق القرآن الحديثة.....٨٦
الإمام أبو بكر النابلسي.....٨٩
سلطان العلماء العزبن عبد السلام.....٩٥
الموقف الأول في مواجهة الظلم.....٩٦
موقف ثان للحق في مواجهة الباطل.....٩٩

موقف ثالث للحق.....١٠١
موقف رابع للحق.....١٠٣
موقف خامس للحق.....١٠٤
شيخ الاسلام العالم المجاهد ابن تيمية وخفراء التتار.....١٠٦
من صور شجاعة ابن تيمية.....١١٢
جهاد ابن تيمية.....١١٣
ثبات ابن تيمية وجهره بالحق في النوازل.....١١٧
مصلحة الدعوة.....١٢٥
الإمام السرخسي.....١٢٧
الشيخ آق شمس الدين.....١٣١
عالم يرتعش منه السلطان.....١٣٢
الخاتمة.....١٣٩
الفــهرس.....١٤٣

* * *